THE TRADE OF IRAQ

In Ancient and Modern Times

Six Lectures Given

By

J. R. GHANIMA

Member of the Administrative and

Educational Councils.

Printed at Al Iraq Press, Baghdad

1922

اكبر واشهر مكتبة فى العاصمة

المكتبة العصرية

« لصاحبها »

(محمود حلمى)

بغداد — سوق السراى

فيها من كتب العربية والفارسية والانكليزية والفرنساوية وغيرها مايحتاج اليه العالم والمتعلم والاديب والشاعر من كتب تاريخ وانشاء وقواميس ودواوين شعرية وحقوق وشرائع وحساب وكتب طبية وروايات مختلفة جديدة والمكتبة مستعدة لارسال الكتب الى الخارج باسرع وقت وفيها وكالة اكبر واشهر المجلات العربية كالمنار والهلال والسيدات واكثر المجلات الانكليزية المصورة ووكيل لحفر انواع الكليشات والفتوغرافات والعناوين وغيرها . وستنشر قائمتها الجديدة فى اول محرم . وصاحبها مستعد للاتفاق مع المؤلفين بطبع كتبهم فى مصر على حساب المكتبة او على حسابهم .

"The German Road to the East" by Evans Lewin

مقالات كتبت فى مجلة لغة العرب فى بغداد

﴿ مآخذ المحاضرة الخامسة ﴾

مفكرتى منذ الحرب العامة

"Review of the Civil Administration of Mesopotamia" prepared by Miss Gertrude L. Bell C.B.E.

"A Compilation of Mesopotamia Customs Statistical Returns, up to 31st December 1919"

"Customs Administration Report For the Year 1920" published by the Department of Customs and Excise, Baghdad

"Iraq Trade Journal and Bulletin of Statistics" Vol 1. No. 1.

ملاحظة

نظراً الى اشغال اعترضتنى لم اتمكن من تصحيح بعض مسودات الطبع فوقع فيها اغلاط مطبعية لا تخفى على المطالع اللبيب .

عثمانلى تاريخى احمد رفعت

رحلة من العراق الى انكلترا فى القرن الثالث عشر

مقالة نشرت لى فى مجلة المقتطف

"Remarques sur les mots francais derives de l'Arabe" H. Lammens S. J.

"The World's History" edited by Dr. H. F. Helmolt.

"L'Eglise et l'Orient au Moyen Age" par Louis Brehier.

"By Nile and Tigris" E. A. Wallis Budge.

"Voyage en Arabie" par. E. Niebuhre.

"A voyage up the Persian Gulf and a Journey Overland from India to England in 1817" by Lt William Heude

"Histoire de Bagdad Dans les Temps Modernes" Clement Huart

مآخذ المحاضرة الرابعة

"Mespotamia Handbook" prepared under the Historical Section of the Foreign Office.

"La Turquie d'Asie" Cuinet

"By Nile and Tigris" E. A. Wallis Budge.

"The World's History" edited by Dr. H. F. Helmolt.

تجارب الامم لابن مسكويه

مقدمة ابن خلدون

المخصص لابن سيده

بلوغ الارب فى احوال العرب للسيد شكرى الآلوسى

حضارة الاسلام فى دار السلام جميل نخله مدور

التجارة فى عهد العباسيين مقالة نشرت لى فى مجلة الهلال

"La Republique Marchande de la Mecque vers l'an 600 de notre Ere" par R. P. H. Lammens

"Les Grosses Fortunes de la Mecque au Siecle de l'Hegire" par ibid.

"Taii" par ibid

"Histoire des Arabes" par Percevel.

"Histoire des Arabes" Gustave Le Bon.

"The Lands of the Eastern Caliphate" Le Strange.

مآخذ المحاضرة الثالثة

مختصر تاريخ الدول لابن العبرى

كتاب عجائب المقدور فى اخبار تيمور لابن عرب شاه

"Great Monarchies" by Rawlinson.
"Phœnicia" by Rawlinson

﴿ مآخذ المحاضرة الثانية ﴾

نهج البلاغة للامام على ابن ابى طالب
تاريخ الامم والملوك للطبرى
تاريخ الكامل لابن الاثير
احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى
كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة
كتاب الاغانى للامام ابى الفرج الاصبهانى
صفة جزيرة العرب للهمدانى
معجم البلدان لياقوت الحموى
مروج الذهب للمسعودى
الف ليلة وليلة
رحلة ابن بطوطة
ابن حوقل

﴿ مآخذ الكتاب ﴾

تنبيه ـ كنت اود ان اذيل كل صفحة من صفحات هذا الكتاب بالاشارة الى مآخذ نصوصها وفقاً للعادة المتبعة فى التآليف القيمة الا ان اسبابا مطبعية حالت دون تحقيق رغبتى فاجتزأت بذكرها مجملا فى هذا الفصل عملا بالمثل القائل مالايدرك كله لايترك جله „

﴿ مآخذ المحاضرة الاولى ﴾

كتاب المقدس العهد القديم

مقالى فى تجارة العراق فى عهد البابليين والاثوريين

مقالى فى تجارة العراق فى عهد الفرس والماذيين فى مجلة مرآة العراق

مقالى فى اول بنك فى العالم وضيعة دار السلام

فتوح الشام للواقدى

"Encyclopaedia Biblica" edited by Gheyne and Black, see Trade and Commerce.

"History of Persia" Lt Col. P. M. Sykes.

"Histoire des Peuples Anciens de l'Orient" par Lenorment.

تجارى اذ لم نعرف ان الغربيين يبتاعونها منا حتى نبهونا على الامر فانتبهنا وباذلناها معهم بالاصفر الرنان والابيض الفتان .

وفى البلاد غير هذه الاشياء من المواد الاولية التى نصيبها اليوم من الاهمال ما كان نصيب الاشياء التى ذكرناها آنفاً قبل نصف قرن.

ولتنشيط الصادرات وانعاشها طرق شتى ينبغى لنا ان نسير فيها ووسائل جمة يجب علينا ان نتذرع بها . اهمها معرفة اسواق العالم معرفة واسعة . وحصول تجارنا على الثقة التجارية والمالية واخفاض سعر كلفة بضائعنا والوقوف على طرق النشر والاعلان . وتأليف الشركات الكبرى التى تحمل صدمات المزاحمة .

وسيكون شأن كبير لصادرات بلادنا ان تم مشروع الرى وكثرت الزراعة فى بلادنا واستخرجت المعادن من مكامنها وسال الزيت الى اسواق العالم .

وسيكون مستقبل تجارة العراق زاهياً زاهراً ان عرف القوم من اين تؤكل الكتف ووقفوا وقفة خبير قد عرك الدهر وعركه، وهيأوا العدد للنزال فى معترك المزاحمة والنزاع الاقتصادى وفق الله الرجال الى ما به خير الاوطان والسلام .

المعول عليه .

اما تمور البصرة فتوزن بالكارة وهى عبارة عن ٤٠ مناً .

لواردت ان اتوسع فى درس الاوزان والمقاييس فى العراق لافضى بى الامر الى كتابة فصل مطول عن اساليبها ومحاذيرها فاكتفى بما ذكر وانهض همم ارباب الحل والعقد الى اصلاح الاوزان والمقاييس وتوحيدها فى العراق على قاعدة سهلة المأخذ .

١١ً السعى الى اكثار الصادرات

الصادرات : تمثل قسما غير نزر من ثروة البلاد وتزيد الحركة التجارية نشاطا . وقد يكون كثير من الامتعة فى البلاد ومن اعضاء الحيوان وفضائل النبات تطرح فى زوايا الطرق حتى يعتورها الفناء وتدوسها الارجل اوتدفن فى الارض اوتبقى مهمولة فى منابتها ومزارعها لا يعبأ بها ولا يعتد بفائدتها التجارية. ولو فكر الناس لعلموا ان لها سوقاً رائجة فى بلاد غير بلادهم .

خذ مثالا لقولى عرق السوس والحنظل وامعاء الغنم (مصارينها) ودم الحيوانات واظلافها وريش الطيور لزينة القبعات واشياء شتى وغيرها وكانت هذه كلها قبل عقود من السنين لا ينتفع منها نفع

تسترعى الانتباه وتولد الدهش والعجب . ففى اسواقنا معرض لانواع العيار والذراع . فاذا كنت غريباً وساومت احد الباعة يجب ان تعرف ان كان ذلك المتاع يباع بالذراع الصغير (ذراع حلب) اوبالذراع الكبير (ذراع اسطنبول) اوبذراع الشاه اوبالمتر اوباليردة .

واذ كانت حاجتك مما يباع بالوزن يجب ان تعرف ان كانت تباع «بالحقة العشارى» اولا «بحقة اسطنبول» او «بالحقة الكبيرة» .

ويختلف المن البصرى عن المن البغدادى وعن المن التى وتختلف وزنة بغداد عن وزنة الموصل . وهناك اساليب مختلفة فى وزن بعض البضاعات فخذ مثلا وزن البن والسكر فى بغداد فى بيع الجملة فانك ان ساومت على سعر المن منهما فلا تفكر انك ستأخذ المن عن ستة حقق بل انما المن نحو ٧ حقق وقية واحدة ولهم طريقة غريبة فى ذلك فانهم يجمعون الوزن وكل ١٢ مناً يحسبونها عشرة امنان . ولم يقف تفنن باعة العشبة والكحل الحجرى وغيرهم عن هذا الحدبل انهم يحسبون كل ١٢ مناً عشرة امنان ثم يجرون هذه العملية مرة ثانية وما بقى من الوزن فهو

على تجارة العراق لعرف قيمة الاسراع بمد السكة الحديدية . من طوروق الى البلاد الداخلية فى ايران .

وقد كان البريطانيون مفكرين فى مد هذه السكة لولم تخفق مساعيهم فى عقد المعاهدة البريطانية الايرانية . اما سكة الحديد الممتدة بين بغداد وشرقاط فهى ايضا لاتفى بالمرام اذ ان البضائع المشحونة الى الموصل تحتاج الى نقل على الدواب حتى تصل الى مقربيها .

الا ان الامل معقود على أن هذا النقص يزول وتتصل سكة الحديد بالحدباء .

مهما حدث من تحسن فى اسباب النقل منذ الحرب حتى اليوم فاننا لانزال فى حاجة قصوى الى خطوط حديدية غير الموجودة . بينها من امهات الخطوط وبينها من الفروع . وعلى كل فان العراق لاغنى له عن طريق يصله بمرفأ على بحر الروم (البحر المتوسط) وان هذا الطريق يمر على بادية الشام .

١٠ً اصلاح الاوزان والمقاييس وتوحيدها

ان مسئلة الاوزان والمقاييس فى العراق من المسائل التى

ما يؤيد هذا القول . فنكتفي بالاشارة اليها .

اما طرق البر فقد مر بنا في المحاضرة الخامسة ذكر الخطوط الحديدية الموجودة اليوم في العراق . الا ان الخط المهم الذي يمتد من بغداد الى منتهى حدود العراق في طوروق لا يفيد الفائدة المطلوبة فان البضائع التي يرسل بها من العراق الى ايران تنقل من هذه المحطة الى كرمانشاه وسائر مدن فارس على ظهور الابل والبغال والحمير . ولا يخفى ما في ذلك من المحاذير على البضاعات من النهب والعطب ولا سيما في الشتاء فان مياه المطر تتلفها . وقد شاهدت بام رأسي في شتاء سنة ١٩٢١ اكداساً من البضائع تعوم في مياه المطر المجتمعة في محطة طوروق . وكانت مخزونة هناك للنقل الى بلاد فارس على الحيوانات .

فلا يسعني في هذا المقام الا ان اعبر عن رغبتي في تمديد هذا الخط الى قلب بلاد فارس والى عاصمتها طهران . والاسراع في هذا الامر يقينا من مزاحمة طريق اخرى واريد بها الطريق التي تمتد من احدى مرافئ الايرانية على خليج فارس الى كرمانشاه وغيرها من المدن الايرانية الداخلية . لو فكر احد من العراقيين بهذا الخطر

البخارية سيراً منظماً . وقد حاولت غير واحدة من السفن ان تصعد دجلة حتى الموصل فى زمن الفيض فمنها من نجحت ومنها من اخفقت والتى نجحت لم تتمكن من الرجوع الى بغداد فى زمن القيض .

اما الملاحة فى الفرات هى ضيقة النطاق فلا تمخر مياهه السفن البخارية لانه لا يصلح لهذا الغرض . ويحتاج عقيقه الى حفر وتنظيف

ولا يعزب عن ذهنكم ان نهر ديالى لا يفيد للملاحة الحديثة ملاحة البخار . ولا تسير فيه الا السفن الشراعية .

وان رجعنا الى البصرة ودرسنا الملاحة فى شط العرب نرى ان الدكادك (البويات) فى الفاو من اكبر العقبات فى سير المراكب البحرية الكبيرة . فان معظم عمقه وقت الجزر ١١ قدماً . فالمراكب التى تطلب ماء يتجاوز عمقه هذا القدر تضطر الى انتظار المد او تعمد الى تفريغ قسم من بضاعاتها فى السفن الشراعية .

ومن حاجات البلاد ان تنشأ شركات تبتاع مراكب بحرية او تستأجرها لنقل حاصلات البلاد الى الخارج . فان العدد المحدود من شركات مراكب البحر تتقاضى جعالا (نولون) باهظاً . يكاد ان يقف حاجزاً منيعاً فى سبيل الاصدار . ولدينا من الارقام

البعيدة الشقة عن بلادنا .

قد رأينا فى المحاضرة الرابعة وسائل النقل فى مياه العراق من سفن بخارية وسفن شراعية واطواف وقفف وغيرها . واذ كانت السفن البخارية من اهم وسائل نقل التجارات فنحصر كلامنا فيها .

ان سير السفن التجارية فى دجلة منظم حتى بغداد ونرى طائفة منها تصل كل اسبوع اليها . وتسافر الى البصرة . ولكن الملاحة فى دجلة لا تخلو من عقبات فى زمن القيض (الصيهود) اذ يكون ماؤها ضحضاحاً فى تموز وآب وايلول فتجنح السفن وتبقى اياماً فى مكان واحد مهما تبذله طائفتها من الهمم لتسييرها وقد يدوم السفر الواحد عشرين يوما بينما تقطع هذه المسافة فى زمن الفيض بثلاثة ايام فمن الضرورة اذاً ان تتخذ التدابير اللازمة لحفر عقيق النهر فى الامكنة التى يكون ماؤها وشلا . وهناك مسئلة اخرى ينبغى النظر فيها وهى ان فى النهر زوايا (دورات) تضطر السفن الى ان تدورها وتقضى ساعة او ساعات لقطعها . فلو كان النهر يسير فى خط مستقيم لتوفر الزمان على السفن ولاقتصدت شيئاً غير يسير من القوة والنفقة .

والشقة التى بين بغداد والموصل من دجلة لا تصلح لسير السفن

الدراهم والدنانير . تريد ان تبيعنا مايكسد فى اسواقها من الازياء القديمة ونفاية البضاعات . وتستوفى ثمنها من صوف بلادنا النقى وتمر العراق المرى .

فان فقهنا الحال واعتبرنا بالكلام الانكليزى المأثور القائل « المال هو الاستقلال » علينا ان ننسج قماش استقلالنا فى مناول حياكتنا ونفرغ دعامته فى قالب معاملنا ونطرقها على سندان اقياننا علينا ان نشجع العامل الوطنى فى ابتياعنا معمولات يده . علينا ان نكتب صك استقلالنا فى مكتب تجارنا وفى مزارع فلاحينا. لا اذهب الى ان الامر سهل ولا اجهل ان دون ذلك خرط القتاد غير انى من القائلين ان الجهاد ناموس الحياة وان فى الحركة بركة والله ولى التوفيق .

تنظيم طرق المواصلة ووسائل النقل

فى العراق طرق عديدة للتجار فى داخل القطر وخارجه . وتقسم قسمين كبيرين ١ : طريق الماء ٢ : طريق البر . اما طريق الماء فهو منحصر فى دجلة والفرات وديالى وسواعدها حتى يفضى الى خليج فارس مخرج العراق الوحيد الى البحار والبلاد الاجنبية والمرافئ

الحرير منهلا جديداً لثروة البلاد ومرفقاً من مرافق الاقتصاد . وقد اتت التجاريب بالنتائج الحسنة واثبتت ان هواء العراق وجوه يصلحان لهذه الغاية . كما ان تقارير ادارة الزراعة افادت ان بذور الدود التي جلبت من بلغاريه والصين انتجت حريراً جيداً غاية الجودة. وهناك فصائل نباتية اخرى تنمو في ارض العراق ولزراعتها عندنا فوائد تجارية ذات شأن .

اما الصنائع عندنا فتكاد ان تكون اسما بلا مسمى . وهي مقتصرة على نسج الازر والاعبئة والاقمشة الغليظة ؛ ودبغ الجلود؛ والصباغة ؛ وعمل الاحذية ؛ وصنع الفخار وشيء الطاباق .وبعض ادوات اولية . وما خلا ذلك فاننا نطلب حاجياتنا وكمالياتنا من الغرب ونشتري ملبوسنا ؛ واثاث بيتنا ؛ ومحراثنا وبندقيتنا وابرتنا وقلمنا وكل ما نحتاج اليه للعيش الشظف والترف من اسواق اوربة .

فان شاءت اوربة ان تقاطعنا في ارسال بضائعها الينا وبيعها سلعها علينا نبقى عراة محرومين من وسائل الحضارة الحاضرة .ولكن اوربة تريد ان تنفق نتاج مصانعها وتصرف امتعة معاملها . تريد أن تبعث الينا باقمشة الحرير ومنسوجات الصوف وتأخذ بدلها

غير اقطار . خذ القطن مثلا فان زراعته عريقة فى القدم فى هذا القطر وقد ورد ذكره فى الاسطوانات المكتشفة فى اطلال بابل كما ذكره ثقات المؤرخين اليونان وقد دلت التجارب التى قام بها الزارعون على ان اراضى العراق بيئة صالحة لانتاج احسن انواعه تشهد بصحة ذلك التقارير التى اصدرتها ادارة الزراعة عندنا وغيرها من التقارير التى كتبتها الشركات التجارية فى الايام الاخيرة .

ولكن زراعة القطن ضيقة النطاق فى هذه البلاد . وما هى الا فى مهد طفولتها . فالى الاكثار منها نوجه انظار من يهمه امر ثروة البلاد وزيادة الصادرات منها .

وليس القطن وحده من المواد التى عليها التعويل فى زيادة الصادرات من البلاد بل هناك غيره من الفصائل النباتية التى تحقق هذه الغاية . مما لا يسعنا ان نسردها فى هذه العجالة الموجزة كلها فنقتصر على الحث على زراعة التوت لتربية دود الحرير . وليس بالعسير نجاح زراعته لاسيما على ضفاف الانهر والجداول التى تجرى فى الاراضى سيحاً . وسيكون لدود الحرير شأن فى صادرات العراق ان بذل الاهلون مساعيهم فى اتقان تربيته واكثروا منه فيصبح

يكون راس ماله عولفاً من رؤوس اموال وطنية وانكليزية وادارته مفوضة الى لجنة مؤلفة من العراقيين والبريطانيين القومين اللذين يقومان رأس ماله .

٨ً تحسين الزراعة والصناعة

عرف الناس شهرة زراعة العراق منذ القديم واجمع اهل البحث والتدوين ان هذا القطر زراعي قبل كل شيء ولم يقم العمران في هذه الديار منذ القرون الخالية الا لخصبها وجودة تربتها وحسن ريها. مضت الاجيال ودالت الدول والعراق رجع القهقرى بينما الامم الراقية قطعت شوطا بعيداً في سبيل الحضارة وسخرت العلم في سبيل رقي المرافق الاقتصادية .

يقولون ان بر العراق وشعيره لا يعدان من الصنف الاول من جنسيهما وانهما لا يستويان مع حنطة استراليا وشعيرها. ولو كانا من الجنس الفاخر لطلبتهما اوربة طلباً جماً ولفتح بابا واسعاً لاصدارهما من هنا . فهل فكر احد ان يدرس هذه المسئلة الحيوية ويجد مظان العيب فيصلحها وقد اثبت الاختبار ان كثيراً من الفصائل النباتية تزكو في هذه الارض لا بل تفوق حاصلاتها في جودة نوعها حاصلات

الهند وثروتها . فالربية التي هي اس العملة في بلادنا سكة هندية كيفما تكن مالية الهند تكن مالية العراق وكل تغير في سعر التحويل في المستعمرة البريطانية يكون له صدى في ماليةالعراق. بينما كان سعر الليرة الاسترلينية سبع ربيات كان التاجر العراقي الذي يملك ثروة تناهز سبعين الف ربية يعد مالك عشرة آلاف ليرة استرلينية ولما هبط سعر الربية واصبح سعر الليرة الاسترلينية خمس عشرة ربية هبطت ثروته الى اربعة آلاف وستمائة وستة وستين ليرة استرلينية . فهبوط سعر الربية اهبط ثروة العراق نحو ٥٣،٣ في المائة. فلو كانت وحدة المسكوكات ذهباً وخاصة بالعراق لما جرف هذا الهبوط ثروة العراقيين .

لانشك ان دون تحقيق هذه الامنية موانع جمة وامور تستدعي انعام النظر فيها لاثبات قاعدة مكينة تقوم عليها النقود العراقية .

واذ كان من المستحيل ضرب مسكوكات الذهب في الوقت الحاضر لاسباب جمة وان لامندوحة عن ضرب نقود الورق، وان تداول نقود الورق ورواجها متوقفان على الثقة المالية في الداخل والخارج فارتأى ان يمنح حق اصدارها الى البنك الاهلي الذي

اهلية فالتجار يستفيدون من ريع اشقاصه وسهامه . ومن التسهيلات التي يبذلها لنجاح مساعيهم التجارية . والتجار الوطنيون يسهلون العقبات في سبيل تقدم هذه المؤسسة وزيادة ارباحها لانها من مالهم تنبت وبجدهم تبسق وتعود اليهم ثمارها وعليهم ترجع تبعة فشلها واخفاقها ولا يعسر علينا ان نؤسس مصرفا ونجمع رأس مال من بيننا يبلغ مليون ليرة بمليون سهم فيشترك بهذه المؤسسة جميع طبقات الناس .

وان للبنك الوطني والاهلي منزلة رفيعة لاتستغني عنها دولة من الدول فيزيد ثقة الاجانب المالية بتجارنا ويكون مقدمة وطيدة لضرب المسكوكات واحداث النقود العراقية والبنك نوت العراقي .

٧ النقود العراقية

لم نعرف دولة من الدول المستقلة ولم يكن لها نقود خاصة بها . وحتى ان المستعمرات الانكليزية كالهند لها مسكوكات تتداولها الايدي غير مسكوكات البلاد الاصلية وان النقود من مميزات استقلال الدول .

فمالية العراق في الوقت الحاضر وثروة البلاد متعلقة كل التعلق بمالية

الاقتصادية . وان موقفنا الدولي المبهم اليوم لاينشط ثقة اصحاب المصانع والمعامل والتجار الاوربيين والاميركيين بنا . فارى من منافعنا ان نسرع الى تقرير مصيرنا وعقد معاهدة دولية سياسية تجارية مع احدى الدول الاوربية الكبرى المعروفة بصداقتها للعراقيين . بشرط ان لاتمس سلامة الدولة العراقية واستقلالها وسلطتها القومية .

ان مايدور اليوم في اندية السياسة عن المعاهدة البريطانية العراقية لايفهم منه ان وزارتنا قد تطرقت الى ذكر مواد في نص المعاهدة ترمي الى نجاح تجارتنا واكثار صادراتنا واذلم تبرم حتى اليوم تلك المعاهدة فنوجه انظار وزارتنا المحترمة الى هذا الامر الخطير ونلتمس منها ان تفكر فيه وتضيف الى نص المعاهدة مواد تكفل نجاح تجارتنا وتوسعها .

٦ً البنك الوطني

ان المصارف العاملة في العراق كلها مؤلفة من رؤوس اموال اجنبية . وليس للعراقيين مصرف واحد (بنك) مصطبغ بالصبغة الاهلية . ولا يخفى احد الفوائد المتقابلة التي يجنيها التجار الوطنيون والبنك الوطني ان تألف من رؤوس اموال اهلية او اجنبية

ان ماقوله ليس من رجوم الغيب ولا من الحدسيات والظنيات بل ان وقائع الاحوال اليومية تؤيد هذه الحقائق . فان اتفاق الشركات الغربية فى البصرة فى تجارة التمور منذ السنة الماضية جعل هذه التجارة رهينة امرها فهى توزع ماتشاء من المقادير على التجار العراقيين فيكبسونها لحسابها وهى تبتاعها منهم بسعر معين او تقبلها بالامانة . وترفض شحن المقادير التى تفيض عن المقرر المعلوم . واين يشحن تجارنا وشركات النقل داخلة فى هذا الاتفاق .

٥ الامن العام

ان الامن العام من اجل المقاصد واحسن السبل المؤدية الى ازدهار التجارة وبض معين المرافق الاقتصادية . ونشر رؤوس الاموال وتداولها فى البلاد للانتفاع منها . لااقول ان حبل الامن مضطرب فى هذا القطر ولكن الحالة الحاضرة قائمة على قاعدة ضعيفة الاساس مجهولة المصير لا يعلم متى يكون هويها . ولذا يحجم اصحاب رؤوس الاموال عن القيام بمشاريع مبتكرة او بتوسيع نطاق التجارة والاعمال .

ان لتقرير مصير العراق السياسى يداً عاملة فى ترويج المرافق

العراقية فى الموصل وان كان العراقيون قد ابتاعوا سهاما من هاتين الشركتين الا ان ادارتهما بيد الاجانب .

قد حاول الوطنيون مراراً ان يجمعوا كلمتهم ورؤوس اموال ويعقدوا شركات مساهمة فحالت الحوائل دون تحقيق رغائبهم .

وعلى رأيي ان لتدابر العراقيين وعدم اتفاقهم عللا بعيدة الغور اخصها الجمود على القديم ؛ وفقدان روح الابتكار ، وضياع الثقة المتبادلة بين الشركات ؛ ونزاع بعض المثرين الى السيطرة والنفوذ والرئاسة .

ان حكومة العراق الجديدة فى موقف غير موقف البلاد فى عهد الاتراك . فان لم نفقه حالنا ونعمد الى تأسيس الشركات المساهمة لاستثمار مرافق ثروة بلادنا ونستفيد من رؤوس الاموال الوطنية نضطر والحالة هذه الى ان نستعين برؤوس الاموال الاجنبية لاحياء مرافق الثروة من تعدين المعادن وكرى الانهر وانشاء خطوط الحديد ؛ وشركة النقل والسفن والترامويات الكهربائية لا بل نضيع التجارة التى بيدنا ويصبح تجارنا عمال التجار الغربيين . ويسيطر علينا الغريب ويتحكم فى رقابنا فنندم ولات ساعة ندم . ولا غرابة فى الامر فان الحياة جهاد لا يفوز الا المجدون .

فترك تحقيق هذه الامنية فى ذمة من يهمه امر البلاد وينظر فى حاجياتها الاقتصاديه نظرة محب مشفق .

٤ً الشركات التجاريه الكبرى

كانه قد قضى على العراقيين ان يجهلوا روح التضامن الاجتماعى وفوائد توحيد القوى والاستفادة من رؤوس اموال صغيرة تجتمع لغايه واحدة ومشروع واحد .

طف البلاد ، وزر الديار فلا تجد الا عدداً قليلا من شركات المفاوضه (الكولكتيف) وشركات المضاربه (كومانديت) ولم يمض على حياتها الا عهداً قصيراً . فالشركات لا تدوم فى هذا القطر بل سرعان ما يتولد عند الشركاء التدابر والتنافر والاختلاف .

اما شركات المساهمة او الشركات المغفلة فلا تكاد تجد اكثر من ثلاث شركات فى كل انحاء العراق مؤلفة من رؤوس اموال وطنية ومن لجنة ادارة وطنية واريد بها شركة الترامواى بين بغداد والكاظمية ، وشركة الترامواى بين النجف والكوفة . وشركة السفن العربية بين البصرة وبمبى . وفي العراق غيرها من الشركات المساهمة وهى شركة الملاحة فى الفرات ودجلة وشركة الزراعه

للاشتراك باعمال عظيمة بما لديهم من المال الزهيد .

فما احرى تجار العراق ان ينشؤا بورصة فى عاصمة البلاد تكون مقدمة لعقد الشركات الكبيرة وللقيام باعمال تجاريه خطيرة .

أليس من الشين ان يعقد اليوم تجار العراق العقود الطائلة وقوفاً فى سوق من الاسواق او احدى دور القهوات . الا يدفعهم حب النظام الى تشييد بناء فخم تعلق فيه الالواح المنبئة باسعار التحاويل واهم اسعار البضاعات ؟ وتربطه اسلاك التلفون بالمعاهد المالية والتجاريه ؟ وتجلب اليه التجار من كل صوب . الا تكون تلك الدار صورة من صور عمران البلاد ومظهراً من مظاهر تمدنهما. ماذا يقول الاجانب الغرباء عنا ان عرفوا هذا النقص فى مجتمعنا ؟

فان خلو البلاد من البورصة ثلمة لا تسد فى البناء المالى وفراغ لا يملأ فى الاعمال التجاريه . ويكفينا تشييداً بمنافع البورصة ان نورد قول احد مشاهير الماليين المسيو رافلوبج فانه قال: لولا البورصة لما امكن تأسيس سكك الحديد وترعة السويس وبنك الاعتماد العقارى وغيرها من المؤسسات التى افادت العموم فائدة عظمى .

فهل نرجو تأسيس البورصة فى العراق فى القريب العاجل؟

٣ً البورصة

البورصة دار يجتمع فيها التجار والصيارفة والسماسرة للبيع والشراء والمضاربات والمقايضات وقد اطلقت اللفظة على الاجتماعات ذاتها وعلى الاعمال التى تجرى فيها وكل ذلك فى اللغة الفرنسية .

ان اصل نشؤها عريق فى القدم ولكن ناموس الارتقاء حسنها والعمران هذبها . وما اصلها الا الاسواق التى كان تقيمها الاقوام فى مواسم معروفة كاسواق العرب التى مر ذكرها فى المحاضرة الثانية وكان عند اليونانيين والرومان من امثالها . كما انه كان فى اوربة اسواق كثيرة يجتمعون فيها فى اوقات معينة للمتاجرة .

وبنى عضد الدولة بن بويه فى كازرون بفارس داراً جمع فيها السماسرة لاعمال التجارة وعليه فقد عرف الشرق شيئا من البورصة فى صورة صغيرة منذ القرن العاشر للميلاد .

اما البورصة الحالية فهى بنت القرن التاسع عشر اوجدها العمران والاكتشافات والاختراعات وانتجتها حاجة الدول الى عقد القروض. فانها افادت فى توسيع نطاق الاعمال ومهدت السبل لبيع الشقوص والاسهم والقراطيس المالية حتى اهلت جميع طبقات الناس

في عاصمة آل عثمان وفيها بيان انظمتها. ومما جاء فيها ان اللجنة تتألف من اربعة وعشرين عضواً تنتخب نصفهم وزارة التجارة والزراعة. وينتخب التجار نصفهم الآخر. وان لا يقل عمر المنتخب عن الثلاثين سنة ويكون من الذين يتعاطون التجارة مدة لا تقل عن الخمس سنوات

وان وظائف غرفة التجارة ان تبين وتنذر كتابة وزارة التجارة والزراعة بالتدابير والوسائل الموجبة لترقى الحرف والصنائع وتوسيعها والاصلاحات والتعديلات التى يجب ان تقوم بها وزارة التجارة وتعريفات الكمرك واجراء الاشغال العمومية وانشاء المرافئ وامر سير السفن فى الانهر وتوسيع مصلحة البريد ومد خطوط التلغراف وطرق الحديد؛ وتسوية الطرق والمعابر وفتحها: وتأسيس البورصات. ونشر الجرائد التجارية واحداثها وقصارى الكلام كل الوسائل التى توجب رقى التجارة سواء صدرت من عندها تواً اورجعوا بها اليها.

فقد ظهر مما مر منزلة غرف التجارة ومؤثراتها فى تقدم هذه الحرفة الشريفة والمهنة الحرة فهل يليق بحكومة العراق ان لا يكون لها من امثال هذه المعاهد فى صدر نهضتنا ؟

التجارة من الوطنيين برئاسة سعادة قاسم باشا الخضيرى واللجنة هى من المعاهد تقتصر على تصديق بعض الوثائق ليس الا . وكانت احدى جرائد العاصمة قد خبرت ان فى نية وزارة التجارة انشاء غرفة تجارية وطنية (١) وقد بات هذا المشروع فى حيز القوة ولم يصدر الى حيز العمل حتى الساعة الحاضرة .

ولا يجهل احد خطورة الغرف التجاريه وموقفها المفيد موقف وسيطة بين تجار البلاد والحكومة . وقد جاء فى تعريفها انها جماعة من التجار غايتهم تمثيل المنافع التجاريه والصناعية والذود عنها . ويرتقى تاريخ نشأة غرف التجارة الى القرن السادس عشر . وقد بلغ تطورها فى القرن الثامن عشر الى ان تكون شركات Compagnies تعمل تحت سلطة الحكومة بمثابه مؤسسات تتعلق تعلقاً متين العرى بالنظام الادارى وكانت وظيفتها انباء الحكومة بحاجات التجارة والصناعة .

ولكل دولة راقية انظمة لغرف التجارة عندها . وقد صدر ارادة ملكية تركية مؤرخة ٦ صفر سنة ١٢٩٧ فى تأليف غرفة التجارة

(١) كان هذا قبل ان تلغى وزارة التجارة من دولة العراق

فى مدرسة الحياة العظمى وفى حلقات الاختبار اليومى فوق مايدرسونه عمليا فى السوق عند كبار التجار اوفى البنوكة . وهناك معلمون خصوصيون يدرسون فى بيوتهم حساب القيد المزدوج (البلنجو).

وآخر كلمة اقولها فى هذا الباب هى الاعراب عن امنيتى ان يفقه رجال البلاد حاجتنا الى تشييد مدرسة تجارية فى بغداد عاصمة العراق قديماً وحديثاً. وان يدخلوا فى منهج المدارس الثانوية درس اصول التجارة

٢ً غرف التجارة

هذه خلة اخرى فى تجارة القطر وفراغ ثان فى مرافق الارتزاق فى البلاد. أسست غرفة تجارية فى بغداد قبيل الدستور وكانت تسير سيراً حثيثاً نحو التقدم شأن المشاريع الحديثة النشأة وبقيت حية سنوات عديدة حتى كان الحرب العامة وسقوط بغداد فانحلت عراها . وان لم تكن تلك الغرفة التجارية الزراعية الصناعية وافية بالمرام كافلة مايتطلب منها من السعى والاقدام فانها قامت ببعض اعمال وكان يرجى ان تنشط رويداً رويداً لولم تسر الى الفناء . واسس البريطانيون بعد الاحتلال غرفة تجاريه انكليزيه لم يشترك بها الاهلون ولم نسمع عن اعمالها شيئاً كثيراً . كما تألفت لجنة

ارباب الحل والعقد بهذه الحاجة بعد الاحتلال البريطاني ببغداد واسسوا مدرسة تجارة في بغداد ولكن توارت شمسها في ضحى نهارها وافل قمرها هلالا . أسست سنة ١٩١٩ ولم يمض على حياتها سنتان الا واغلقت ابوابها ودخلت في خبر كان لاسباب لم نقف عليها

المدرسة التجارية حجر زاوية في بناء التجارة واسه المكين . وهي المعهد الذي يطور الاعمال ويكسبها حلة قشيبة ويخرج لنا تجاراً يديرون دفتها وفقاً للمبادئ العلمية والاصول الفنية .

امامنا الآن ونحن نكتب هذه الاسطر مجموعة من مناهج المدارس التجارية في بيروت ومصر والقسطنطينية وانكلترة وفرنسة وكلها مشحونة بالفوائد التي لا يستغني عنها التاجر البارع الذي ينزع الى تجديد طرق الاتجار ؛ وتنظيم دفاتره على الاساليب الحديثة ؛ وترتيب حساباته ترتيباً متقناً ؛ وتأليف معهده ومستخدميه على احسن طراز ؛ وتوسيع معارفه الاقتصادية من علم بلدان ومعرفة اسواق وخبرة في البضائع ؛ واتقان اساليب المراسلات والوقوف على قوانين الشركات والمصارف (البنوك) وغيرها .

العراق خلو من اشباه هذه المدارس وكل تجارنا يدرسون

واذا اطلقت العنان للسان ان يسرد عليكم نقائص تجارتنا والعقبات الكؤودة القائمة فى سبيل رقيها لتجاوزت عقود الاصابع. ولقلت لكم فوق ماقلت ان لا بورصة عندنا ولا مصرفا عراقياً ولا شركة وطنية ولا سكة خاصة ببلادنا ولا وحدة للقياس والوزن. ولا وسائل نقل منظمة الخ الخ ... وبوجيز الكلام ان مغامز التجارة العراقية تفوق حسناتها وانها اقرب الى طور النشأة والبدءة منه الى طور الرقى والكمال.

وسنأخذ فى درس حاجة التجارة الى الرقى فى هذا الفصل الذى عقدناه لهذه الغاية ونمر عليها مرور عجلان اذ التبسط فى الموضوع يتطلب كتابا واسعا.

١ً المدرسة التجارية

يدخل مدرسة كل فن من الفنون الراغب فيه من الطلبة الذين يهون دروسهم العامة. والرغبة فى الحياة من اكبر دواعى النجاح. لا بل عمده وطنبه والمدرسة التجارية هى من مصاف المدارس العالية كمدرسة الحقوق والهندسة والطب والسياسة والزراعة وغيرها. والعراق فى حاجة ماسة الى مدرسة تجارية. وقد شعر

العراقيون وشمروا عن ساعد الجد والجهد فى تهيئة اسباب تقدمها واعداد العدد لرفع شأنها وتوسيع نطاق اعمالها واتخاذ الوسائل والاساليب التى عمدا اليها الاوربيون والاميريكيون لا بل اليابانيون والصينيون والمصريون الحاليون فى تجاراتهم .

ان مايؤسف له ان تجارة العراق مهما كانت خطيرة واسعة النطاق ينقصها اشياء كثيرة لترفعها الى مستوى تجارات الامم العريقة فى الحضارة والعرفان . لامدرسة تجارية عندنا تعلم فن التجارة ونظرياته وتدرس العلوم التى لها صلة وثيقة العرى متينة القوى بهذا الفن الاقتصادى . ولا معاهد ونواد ونقابات تجمع بين التجار وارباب المصالح فيتفاوضون فى شؤونهم ويتعاونون فى حل مشاكل مصلحتهم . فيقومون عوجها ويصلحون اودها . ولاغرف تجارية منظمة تدرس موطن الخلل فى هذا المرفق وتتوسط بين ارباب المصالح والحكومة وترشدهم الى حل المسائل التجارية والقضايا الاقتصادية التى تحدث فى البلاد . وتكون حلقة وصل ووسيلة تعارف بين تجار القطر وتجار سائر الاقطار . وتنشر الاحصاآت التى تظهر حركة الاعمال فى البلاد من صادرات وواردات .

المحاضرة السادسة (١)

تجارة العراق واسباب رقيها

مغامز التجارة عندنا ـ المدرسة التجارية ـ الغرف التجارية ـ البورصة ـ الشركات التجارية الكبرى ـ الامن العام البنك الوطني ـ النقود العراقية ـ تحسين الزراعة والصناعة ـ تنظيم طرق المواصلة ـ اصلاح الاوزان والمقاييس وتوحيدها ـ السعي في اكثار الصادرات

بعد ان اوفينا البحث حقه عن تاريخ تجارة العراق قديما وحديثا واسهبنا الكلام عن النهج الذي انتهجته منذ نشأتها حتى اليوم آن لنا ان نمعن النظر في مستقبلها والشوط الذي تقطعه من الرقي ان نهض

(١) لم اتمكن من القاء هذه المحاضرة بسبب اشتداد الحر .

هذا ماأردت ان ابينه فى هذه المحاضرة والتمسكم عذراً اذ تعبت مسامعكم بانهيال الارقام وختمت محاضرتى برثاء الحالة الاقتصادية ويشفع فى عذرى اليكم ماأتمناه للامة من اسباب الرخاء والعهد السعيد، والرواج لتجارتنا كل الرواج فهو السميع المجيب .

وتفكر الحكومات الآن كيف تسترجع الاموال التى بذلتها فى ابان الحرب ولم يسلم العراق من هذا التيار .

(١٠) ان تجارة العراق تسير فى ازمتها الحاضرة وفقاً للقاعدة الاقتصادية التى تقول ان دور اليسر يعقبه عسر وتأتى الازمات بعد الرواج .

(١١) تأثير الاضطرابات البولشفكية على تجارة ايران وايقاف صادراتها الى تلك الديار .

(١٢) وقوف صادرات ايران الى اوربة والصين لاسيما الأفيون فان لم تتمكن بلاد فارس من اصدار حاصلات بلادها لايتسنى لها ابتياع الأدخالات

(١٣) المبيعات التى قامت بها الحكومة العسكرية البريطانية فى العراق (١)

(١) جاء فى برقية لشركة رويتر مؤرخة من لندن فى ٢١ خزيران ان ماباعته لجنة التصفية العسكرية فى العراق بلغ فى ٣١ آذار ١٩٢٢ (مارج) ٣٣٨٥٠٠٠ ليرة استرلينية .

(٢) هبوط اسعار المصنوعات فى اوربة فان الحكومات قد كفت ايديها عن طلبها بسبب تسريح الجيوش .

(٣) ان افراد الجيوش رجعوا الى اعمالهم فى معامل اوربة فهبطت اجور العمال .

(٤) ان اجور الوسق هبطت بسبب كثرة المراكب التى لم تعد الحكومات تطلبها .

(٥) ان البضاعات المودعة فى مخازن تجارنا هنا اكثر مما تطلب وبالنتيجة هبطت اسعارها لان العرض يفوق الطلب

(٦) ان البضائع الواردة الى العراق تفوق الصادرات بمراحل حسبما بيننا ذلك فى الاحصاء وكل بلاد تفوق وارداتها صادراتها هذا التفوق تسير الى ازمة اقتصادية لا بل الى فقر .

(٧) ان هبوط سعر الفضة وبالنتيجة سعر الربية أثر فى ثروة العراق تأثيراً سيئاً .

(٨) ان البريطانيين فى البلاد كفوا عن بذل النفقات الطائلة التى كانوا ينفقونها فى ابان الحرب على جيوشهم اذ ارجعوا معظمه الى بلادهم

(٩) ان الانتفاخ المالى الذى كان مصاباً به العالم اخذ بالزوال

مقادير التمر الصادرة من العراق ١٩٢١ و ١٩٢٠

صندوق	وزن بالطن	قيمته ربية	خصافة	سنة
٩٩٠٣٨٢	٣٢٥٣٢	٦٢٠٢٨٢٢	٥٢٢١٩٢	١٩٢١
٢٢٨٠٥٠٠	٧٤١٠٠	١٤٨٢٣٢٥٠	٤٣١٠٠٠	١٩٢٠

وزن	قيمتها	قسب طون	قيمته	
٣٥٦١٥	٥٠٣٥٤٨٣	٩٨٥٧	١٣٤٢١٨٦	١٩٢١
٣٢٣٢٤	٤٧٨٨٩٠٠	٧٧٤٢	١١٥٩٥٠٠	١٩٢٠

دور الرجعة

( )

يقول الشاعر العربي :

ماطار طير وارتفع الا كما طار وقع

وهكذا حدث في تجارة العراق فبعد ايام الرخاء يعبر التجار اليوم دور العسر اوالازمة الاقتصادية وذلك لاسباب جمة نحصرها في ما يأتي :

(١) هبوط سعر القران بمعدل الليرة الاسترلينية ٦٠ قراناً اوقف طلب ايران السلع من سوقنا

ماكينات	١١	١٢	—

(لم نقع على مجموع المقادير لهذه الثلاثة الاصناف لسنة ١٩١٩)

اهم الصادرات من العراق فى السنوات الثلاث التالية بالمائة الف ربية

	١٩٢١	١٩٢٠	١٩١٩
تمر	١٢٦	٢٠٨	٢١٧
اقمشة*	٣٤	٢٤	٣٧
حبوب وقطانى ودقيق	٣٣	٢٠	٢٧
سكر*	٢٢	١٠	٣
طنافس*	٦	٢٤	-(*)
جلود	٥	٩	٧
صوف	٥	٨	١٥
امعاء (مصارين)	٥	١	-(*)
عرق السوس	٤	٥	-(*)
تنباك*	٣	٣	-(*)

*ان هذه البضاعات ترد الى العراق وتصدر منه بطريقة النقل (الترانسيت)

(*) لم نقف على مقادير هذه البضائع الاربع لسنة ١٩١٩

اهم الواردات الى العراق للسنوات الثلاث التالية :

بالمائة الف ربية

	١٩٢١	١٩٢٠	١٩١٩
سكر	٢٥٨	٢٨٣	١٩٦
اقمشة	٢٤٥	٢٦٢	٧٠٤
حبوب وقطاني ودقيق	١٤٢	٨٦	٦٣
زيت	٤٠	١٧	—
مشروبات	٢٩	٣٢	٢٥
تنباك	٣٠	٦٣	٤٦
خشب وصناديق لكبس التمر	٢٨	٥٧	—
مؤن وتوابل	٢٥	٤٣	٩
سيارات ودراجات وتوابعهما	٢٢	٤٥	٧
شاي	٢٠	٢٠	٦٠
بن	١٥	٢٥	١
صابون	١٣	١٥	١٦
معادن وفلزات	٧	٢٥٠	١٩٧

نسبة الواردات من :

الهند	بريطانية	ممالك اخرى	ايران	بلاد العرب	فرنسة	تركية وسورية	
٥٥،٥	٢٦،٧	١١،٨	٤،١	١،٩	ـ		الى البصرة
ـ ٢٤	٤٨،٥	ـ	٢	٢٠،٥	٣	٢	الى بغداد

نسبة الصادرات الى :

الهند	بريطانية	ممالك اخرى	ايران	بلاد العرب	اميركة	سورية	تركية	
٢٢،٧	٢٨،٣	٢١،٣	١٦،٨	١٠،٩	ـ			من البصرة
١،٨	٥،٣	٢،٤	٦٤،٦	ـ	١٥	١٠،٩		من بغداد

مجموع النسبة المئوية لتجارة بغداد والبصرة في سنة ١٩٢٠

اخراجات		ادخالات	
٨،٨	الهند	١١،٧	ايران
١٢،٤	بريطانية	٣٩،٢	بريطانية
٤٧،٦	ايران	٣٩،٥	الهند
٧،٣	سورية وتركية	١،٠	سورية وتركية
٧	بلاد العرب	٠،٧	بلاد العرب
١٩،٢	ممالك اخرى	٧،٩	ممالك اخري

وبلغت قيمة الواردات والصادرات فى العراق فى سنة ١٩٢٠ ما يأتى

	الواردات	الصادرات
	ربية	ربية
بغداد	١٠٩،٦١٢،٠٩٣	٥٩،٤١٤،٥٢٩
البصرة	١٢٣،١١٢،١١١	٤٤،٣٩٣،٥٥٦
المجموع	٢٣٢،٧٢٤،٢٠٤	٩٣،٨٠٥،٠٨٥

الفرق بين الواردات والصادرات لسنة ١٩٢٠ ربية

١٣٨،٩١٩،١١٩

بغداد	البصرة	
٢،١٩٤،٨٩٩	٢٥،٧٨٦،٣٦٧	حاصلات البلاد
٥٧،٢١٨،٧٠٢	١٨،٦٠٧،١٨٩	حاصلات الخارج
٢٧،٩٨١،٢٦٦		مجموع حاصلات البلاد
٧٥،٨٢٥،٨٩١		« حاصلات الخارج

النسبة المئوية لتجارة العراق مع الدول والاقطار الغربية والشرقية لسنة ١٩٢٠

وقد كان لسكك الحديد التى مدها البريطانيون فى ابان الحرب شأن فى تسهيل سبل التجارة ونقل البضائع. ولاسيما السكة التى تمتد من البصرة الى بغداد وطولها ٣٥٢ ميلا ونيف والسكة التى تبتدئ من بغداد الى قراتو وطولها ١٣٠ ميلا واليوم تصل الى طوروق فقط وعليها تنقل بضائع ايران الى هذه المحطة ومنها تنقل على الابل والبغال الى كرمانشاه اوغيرها من المدن الفارسية. والسكة التى مدوها من سامراء الى شرقاط فى الطريق المؤدية الى الموصل تمت بهاسكة بغداد سامراء التى كان قدانشأها الالمان. وقد بلغت تجارة بغداد فى سنة ١٩١٩ وارداتمن وصادرات مايأتى:

	الواردات	الصادرات
	ربية	ربية
بغداد	٤٤،١١٥،٩٠٧	٧٤،١٠٠،٣٩١
البصرة	١٣٩،٩٢٢،٣٧٦	٣٦،١٠٧،٢٠٠
المجموع	١٨٤،٠٣٨،٢٨٣	١١٠،٢٠٧،٥٩١

الفرق بين الواردات والصادرات

٧٣،٨٣٠،٦٩٢ ربية

الامن في دير الزور وقامت قيامة الاعراب في تلك الديار وقطعت المسابلة .

وقد اشترى العراقيون اوراقا نقديه كالروبل الروسي والمارك الالماني وباعوها وتاجروا بالليرة الانكليزية والفرنك الفرنسي وغيرها من الاوراق النقديه والسفاتج الاوربية والاميركية والهنديه والتركية وربحوا في قسم وخسروا في الآخر ولم يكن نطاق المضاربة بهذه الاوراق والسفاتج واسعا هذه السعة قبل الحرب اذ ان الفرق بين صعود سعرها وهبوطه لم يتجاوز معدله ثلاثة بالمائة .

اوجدت الحرب العامة منهلا جديداً استقى منه العراقيون نفعاً لا يستهان به بعد الاحتلال البريطاني الا وهو سوق التحف العراقية والطرف الايرانية والعاديات القديمة فقد كان رجال الجيش يبتاعون في بغداد الاكسية البغدادية والاعبئة والازر المقصبة والاقمشة القديمة التي كانت ترد من الهند والاستانة في القرن التاسع عشر وشالات ايران وسجادها والاسلحة العربية والعاديات البابلية والمسكوكات الساسانية والرومانية واليونانية والعربية القديمة والخزف الصيني وغيرها فغيرها .

قصوى الى البضائع والسلع . وكانت الحملة البريطانية فى ايران تنفق النفقات الطائلة وتحتاج الى بيع الحوالات بليرات استرلينية فهبط سعر الليرة الاسترلينية الى ١٩ قراناً . فباع الايرانيون حاصلات بلادهم الى الجيش باسعار مرتفعة واستفادوا فائدتين من هذه المعاملة فائدة ارتفاع الاسعار وفائدة خفض قيمة الليرة الاسترلينية . فتلك الاحوال اولدت فى البلاد رخاء . وهب الايرانيون الى ابتياع الحاجيات والكماليات وبذل الدرهم والدينار فى سبيل الزهو والترف فحدثت حركة تجارية فى بغداد هطل من سحابتها وابل الارباح على تجارنا . ولا يخفى عليكم ان معظم تجارة العراق (اى نحو ثلاثة ارباعها متوقف على بلاد فارس. والعراق هو الوسيط التجارى بين هذه الدولة الشرقية واوربة فى الوارد والصادر .

ووجد التجار ينبوعا جديداً للارتزاق بين بغداد وسورية على أثر خفض سعر الليرة الاسترلينية وبلغ الفرق فى سعر الليرة الاسترلينية بين القطرين الشقيقين ٢٥ فى المائة فكانوا يشترون من هنا حوالات على مصارف لندن ويذهبون او يرسلون بها الى حلب ويجلبون بقيمتها اوربحها ذهباً رناناً . وبقيت هذه التجارة الرابحة رائجة الى ان اختل

البصرة الى بغداد كان على ثقة من الارباح الطائلة . وكان التجار يدفعون المكوس على بضاعاتهم التى ترد اليهم من الهند وهى اكثرها ومن اوربة واميركة فى البصرة وهناك يسعى وكلاؤهم الى شحنها الى بغداد . وقد استورد التجار والحكومة سنة ١٩١٧ و ١٩١٨ من الهند مقادير وافرة من الحنطة والشعير والارز بسبب قحط الحبوب الذى كان مستوليا على العراق وكانت بلدية بغداد توزع اجازات للبيوت بنسبة افرادها لابتياع الحبوب من مستودعات البلدية العامة .

ولم تكن الحكومة البريطانية تجيز الصادرات من بغداد الى البلدان المجاورة فى سنة ١٩١٧ ـ ١٩١٨ إلا باجازات من السلطة الملكية . فالذين كانوا يحوزون تلك الاجازات كانوا يربحون ربحاً وافراً. وبعد ان انتصر الجيش البريطانى على فرقة على حسان بك القائد التركى فى جبهة ايران وعقد الحلفاء الهدنة مع تركية واحتل البريطانيون الموصل وتمهدت سبل المسابلة مع سورية فتحت ابواب جديدة للمتاجرة .

كانت ايران والموصل والمدن الواقعة فى مابين النهرين فى حاجة

الصادرات

الى الهند	بريطانية	ايران	
فى المئة	فى المئة	فى المئة	
٢٩،١	١٨،٥	٢٠،٥	
٢٠،٥	٣٤،٤	١٤،١	
بلاد العرب	غير ممالك		سنة
فى المئة	فى المئة		
١٦،٥	١٥،٤		١٩١٨
١٣،٣	١٧،٧		١٩١٩

وما قلناه عن مروجات تجارة البصرة واسباب توسعها فى عهد الاحتلال العسكرى حدث فى بغداد ايضا بعد الاحتلال البريطانى لسنة ١٩١٧ ولابد من حدوثه. كيف لا وقد كانت المقدمات واحدة والعلل بعينها فتكون النتائج سواء بلا مرية . وقد كان من اسباب رواج البضاعات والسلع فى بغداد مما لم يكن فى اختها البصرة و ذلك لقلة وسائل النقل فى النهر وندرة المراكب التى تسير فى دجلة فالتاجر الذى كان يتمكن من شحن بضاعته باى وسيلة كانت وينقلها من

الصادرات

١٩١٦	١٩١٥

لم نقف على احصاء لهاتين السنتين وربما كان الاصدار ممنوعا فيهما

١٩١٧	١٩١٨	١٩١٩
١٢،٢٨٧،٨٦٥	١٣،٤٩٠،٨٩١	٣٦،١٠٧،٢٠٠

وقد كان معدل الاشغال التجارية فى البصرة مع الدول من واردات وصادرات لسنتى ١٩١٨ و ١٩١٩ كما يأتى :

الواردات

من الهند	انكلترة	ايران	سنة
فى المئة	فى المئة	فى المئة	
٥٨	٢١	١٦،٧	١٩١٨
٦٣	٢١،٩	٩،٩	١٩١٩

بلاد العرب	ممالك اخرى	سنة
فى المئة	فى المئة	
١،٨	٢،٥	١٩١٨
١،١	٤،١	١٩١٩

التركية على الصادرات ثم أبتته . وتطورت المكوس بتطور الاحكام حتى وصلت الى ماهى عليه من الزيادة حسب التعريف الحاضر .

وقد كان دخل مماكس العراق كما يأتى :

١٩١٥ ـ ١٩١٦	١٩١٦ ـ ١٩١٧	١٩١٨ ـ ١٩١٩
١٨٣٤٤٩٧	٥٧٦٤٤٠٠	٦٧٣٨٠٠٠

١٩١٩ ـ ١٩٢٠

٢٢،٠٢٤،٠٠٠

ولنقف وقفة خبير على تجارة البصرة ونحكم حكم عارف على خطورة صادراتها ووارداتها فى غضون الخمس السنوات التى تمتد من منذ سنة ١٩١٥ الى سنة ١٩١٩ نورد الارقام التالية بالربية :

الواردات

١٩١٥	و ١٩١٦	و ١٩١٧
٩،٤٤٥،٧٥٨	٢٠،٤٩٤،١٤١	٦٢،٥٤٤،٦٣٧
و ١٩١٨	و ١٩١٩	
١١١،٠٢٦،٨٥٢	٣٧٦،١٣٩،٩٢٢	

انتقل المرفأ المذكور من السلطة العسكرية واودع تدبيره الى السلطة الملكية وبقى امر تنظيمه وتوسيعه منوطا بادارة الميناء يساعدها مجلس شورى مؤلف من ممثلى الادارات العسكرية والملكية وغرفة تجارة البصرة واعيانها .

بعد ان احتل البريطانيون البصرة اودعوا جباية مماكسها الى احد البيوت التجارية البريطانية وهم الخواجات كرى وماكنزى وشركاؤهما. ولما اتسع نطاق الواردات بعد احتلال العمارة عينوا موظفا رسميا . وكانت المماكس فى مدينة البصرة بمشارفة ادارة المالية مباشرة اما فى العمارة وعلى الغربى وبغداد بعد الاحتلال وفى غيرها من البلدان فكان متوظفو المماكس يجبون المكوس ويراجعون فى امورهم الحكام السياسيين اومعاونيهم ثم فتح فى بغداد مماكس بمشارفة ادارة المالية وفتح لها شعبة خاصة بها. واليوم تراجع باعمالها وزارة المالية .

وكانت الحكومة العسكرية تتقاضى فى صدر الاحتلال مكسا عشرة فى المائة عن جميع البضاعات وعفت المأكولات منها. كما انها الغت الواحد فى المائة عن المكس الذى كانت تتقاضاه الحكومة

صقع وناد واضحت منتـديٰ ارباب الاعمـال من كل الصنـوف .
وكانوا يتألبون فى قهوة السيف كل يوم يضاربون ويتاجرون لا بل
ان التجارة كانت اشبه شئ بمضاربة البورصة ومجازفة المقامرين
ولـكنها كلها كانت بادئ بدء صفقة رابح حتى شاع ذكر قهـوة
السيف شيوع مربد البصرة الشهير فى القديم وربح الناس اموالا
طائلة برؤس اموال قليلة لا يعتد بها .

وكان من اهم الامور التى تسترعى همة رجال الاحتلال للغـاية
القصوى اليه من الوجهة العسكرية والتجارية مسئلة مرفأ البصرة
فلم يكن هناك قبل الحرب رصيف ترسو بجانبه مراكب البحـر
للوسـق والتفريغ . بل كان يتم هـذان العملان بوساطة السـفن
والمراكب الصغيرة ولا يخلو هذا الاسـلوب من عقبات وتأخير
وغيرها ففكر رجال الجيش فى انشـاء مرافئ تسهـل عليهم العمل
فاختاروا بقعاً من الارض على ساحل شط العرب واسسوا هنـاك
المرافئ الموافقة لسعة حركة المراكب العسكرية والتجارية واضحى
ميناء البصرة فى سنـة ١٩١٩ منظما واسعا يمتد فى بقعة من الارض
مساحتها ١٦٠٦ فدان او ٢٥٧٠ دونما . وفى ١ نيسـان سـنة ١٩٢٠

من العرب والعجم . وكان تجارها يبعثون باموالهم الى الاهواز ومن هناك تتوغل فى بلاد ايران فيبتاع عرب البدو مقادير وافرة من انواع الامتعة والسلع وينقلونها الى القبائل المرابضة على عدوات دجلة والفرات وربما نقلوها الى المناطق التى كانت تحت سلطة الاتراك حتى بغداد وما فوقها . وكنا نسمع عن ذلك الانقلاب الاقتصادى من الغرائب والعجائب مايذهل الالباب ويحير العقول فنعد بشائر ذلك الاثراء والرفاه من الاحاديث الفرية او من مخترعات الخيال . وننزلها منزلة اقاصيص الف ليلة وليلة . كيف لا يكون ذلك وكان فى تلك الانباء شىء كثير من الحقائق واكثر منه الغلو الذى خلقته مخيلة القوم اونشأ من تناقل الاخبار من فم الى آخر ومن راوية الى ثان فالتف حولها الزوائد .

وزادت خطورة تجارة البصرة لما نزلتها الجيوش الجرارة بقيادة الجنرال السرستانلى مود وتقدمت الى بغداد . وبعد احتلالها سافر من هذه الحاضرة عدد غير يسير من التجار وعمال التجار الى البصرة ليبتاعوا من هناك البضاعات التى كانت بغداد فى حاجة اليها للاهلين وللجيش المحتل واصبحت سوق البصرة مجتمع التجار اتوها من كل

وانشاء الطرق وبناء المستشفيات والماوى والملاجئ ويبتاع الادوات الكثيرة التى يحتاج اليها الجيش . لا بل انه كان يشغل العمال كالنجارين والحدادين والبنائين والعتالين وسواهم وينقدهم اجوراً عالية . وكان المال يسيل من قناة السياسة الى الشيوخ والقبائل العربية الذين ساعدوا حركات الجيش واتفقوا مع البريطانيين لتحرير البلاد .

فكثرة المال وكثرة طلب البضاعات والمؤن والعمال من الجهة الواحدة ؛ وقلة البضاعات لاشتغال المعامل فى اوربة والهند لسد مطاليب الجيوش الكثيرة وقلة وسائل النقل لاشتغال المراكب بنقل الجيوش ومعدات الحرب من الوجهة الاخرى روجت تجارة البصرة واى رواج حتى ان البضاعة الواحدة كانت تباع مراراً قبل وصولها الى المرفأ وذلك بنقل بواليص الشحن من يد الى اخرى وكانت تخلف ربحا طائلا كل مرة بيعت . واذا وصلت البضاعة المدينة بيعت على الجيش دفعة واحدة اوابتاعها بياعو الاشتات واصحاب الدكاكين ولم تلبث يومها حتى تنفذ .

وكانت اسواق البصرة غاصة باصحاب الاعمال والمستنفدين

العمارة (٣ حزيران) والناصرية اى معظم ولاية البصرة كما انهم احبطوا مساعى الاتراك وردوا حملتهم على الاهواز .

وقد كانت الحملة البريطانية فى حاجة الى المؤن والامتعة والمشروبات والتبغ للتدخين ففتح عهد زاهر للمتاجرة وشرع التجار يستوردون بضاعات لم يكن لها سوق فى العراق اوكان نطاق المتاجرة بها ضيقا. كالمشروبات الكحولية الاوربية على انواعها والحليب المركز فى علب والبسكويت والشوكلات والعطريات وادوات الزينة والحلاقة واللحوم المكبوسة فى العلب وقنانى المخللات والرواصير وانواع السيكارات الاميركية والصابون الافرنجى على اختلاف انواعه وغيرها فغيرها وكانا يعرف درجة الترف الذى عاش فيها الجندى البريطانى فى العراق فضلا عن ضباط الجيش وامرائه وابتياعهم الحاجيات والكماليات باسعار مرضية .

ولم يقف طلب الجيش البريطانى عند هذا الحد بل كان يبتاع غلات البلاد والبضاعات الواردة اليها من حنطة وشعير ولحم وفاكهة وسمن وبقول ووقود وخشب وحديد وملاط وزجاج نوافذ وحصران وكل ادوات البناء وكان يستدعى المقاولين ويعهد اليهم باشغال خطيرة كاقامة البيوت

والفواكه واللحم والبيض فى مدينتنا كل مدة الحرب فى عهد الاتراك فكانت وزنة الحنطة تباع باربعة مجيديات اوعشر ربيات ومن التمن باربعة مجيديات الى خمسة مجيديات اى عشر ربيات حتى اثنتى عشرة ربية ونصف الربية. ثم ارتفعت شيئاً فشيئاً ولكن معظم ارتفاعها كان رخيصا كل الرخص بالنسبة الى اسعارها بعد الاحتلال البريطانى ولذلك اسباب اقتصادية جوهرية اهمها كثرة الطلب نظراً الى عدد جيش الاحتلال وكثرة تداول النقود التى انفقها البريطانيون بعد الاحتلال حسبما نرى بعد ذلك .

لنرجعن قليلا الى تجارة البصرة بعد الاحتلال البريطانى وندرسن تطورها العظيم . فان البريطانيين دخلوا البصرة وبدخولهم انفتح مجال واسع للتجارة والاعمال اذ انهم كانوا مسيطرين على البحار وبيدهم وبيد حلفائهم مقاليد الملاحة فى البحر المتوسط وبحر الهند والبحر الاحمر وخليج فارس وغيرها مما كان يسهل سبل المتاجر والمضارب فى البصرة مرفأ العراق الوحيد . ولم يمض عهد طويل على احتلالهم البصرة حتى تقدموا واستولوا على القرنة فى ٩ دسمبر سنة ١٩١٤ ولم ينته شهر يوليو سنة ١٩١٥ حتى كانوا قداحتلوا

القطر منذ نشأته حتى اليوم . فقد بلغ سعر السكر سبعة اضعافه مما كان قبل الحرب وورق السيكارة ارتفع ثمن الحزمة (البالة) من اثنى عشرة ليرة الى ٢٥٠ ليرة . وسعر الصندوق من اصباغ الانيلين من سبع ليرات الى ٣٥٠ ليرة والبضاعات القطنية ارتفعت اسعارها نحو اربعة اضعاف عما كانت عليه قبل الحرب . وقس على ذلك سائر الحاجيات والكماليات .

ولما احتل الروس كرمانشاه للمرة الثانية سنة ١٩١٦ صادروا كثيراً من بضاعات العراقيين التي كانت فى عهدة وكلائهم هناك ولم يدفعوا اليهم ثمنها .واخذ الاتراك فى بغداد قبيل الاحتلال الانكليزى من التجار سكراً وحديداً وصابوناً وبراً وشعيراً وغيرها واعطوهم بأثمانها قبوضاً «وصولات» ولكنهم لم يفسح لهم الاجل لدفع أثمانها بل كان احتلال البريطانيين بغداد فى ١١ آذار سنة ١٩١٧ سببا لمغادرة الاتراك حاضرتنا وانتقالهم الى سامراء على عجل ولما غادروا هذه المدينة احرقوا شيئاً كثيراً من البضاعات التى كانوا قد اخذوها من تجار بغداد والقوا ما بقى منها فى النهر .

وهنا نذكر كم برخص اسعار الغلات والارز والسمن والخبز

أثمان مبيعاته الا نوتاً تركيا .

ونظراً الى حاجة السلطة العسكرية الى وسائل النقل براً لحملتي ايران التركية والالمانية؛ والى نقل الجيوش والمعدات التى ترد من الاناضول والاستانه الى سورية ثم الى العراق او الى نقل الجيش الذى سافر من العراق الى قفقاسية فى بدء الحرب كانت قد اخذت بمشارفة القوافل من الابل والبغال والحمير ولم تأذن للتجار كراءها للمقاصد التجارية الا باذن منها ولما تكون فى غنى عنها .

كل تلك التدابير والاوامر والنواهى والقوانين الوقتية الشديدة دعت اليها الحرب الكونية اذ كانت تركية فى ميدان الوغى تدافع عن كيانها ولم تكن لتثنى التجار عن توسيع نطاق اعمالهم وترويج بضاعاتهم بل كان الطلب كثيراً من سوريه والاناضول والجزيرة وبلاد فارس للبضاعات المخزونه فى بغداد والارباح طائلة تستنزل المضاربين الى المجازفة والمخاطرة وبذل الاموال والنفقات للتوصل الى غاياتهم ولاتخاذ الوسائل المختلفة لنقل البضاعات من العراق الى الاقطار الاخرى . وقصارى القول ان تجارة العراق ازدهرت فى ابان الحرب العامة ازدهاراً لم يعرف له مثيل فى تاريخ تجارة هذا

البضاعات فى كل شهر ولا سيما ما يدخل منها فى نطاق الحاجيات كالسكر وغيره واودعت مهمة اعطاء الاجازات بذلك الى ادارة الشرطة ، وحددت اسعار المبيعات لبيع الاشتات (التفاريد) لا بل انشأت مخزناً اوغير مخزن واحد وكانت تبتاع من تجار الجملة السلع لتلك المخازن وتبيعها باسعار مقررة على الامة المستنفدة وتقبض لقاء ثمنها نقود ورق . وكانت تبيع فى تلك المستودعات بادئ بدء الشاى والسكر والبترول فى ايام معينة الا ان تلك التدابير لم تطل زمناً بل اغلقت المخازن . وقبيل احتلال الانكليز بغداد بلغت الحكومة التركية جميع التجار ان يدونوا اسماء بضاعاتهم وكمياتها فى دفتر يقدموه الى اللجنة المؤلفة لهذه الغاية . وتوعدت المخالفين بمصادرة البضاعات التى لا تدون فى ذلك الدفتر اوتدون على خلاف حقيقتها . وبنفيهم من العراق الى قطر آخر . وكانت الغاية من احصاء البضاعات والامتعة ان تعرف الحكومة مقدارها وتبتاع من كل تاجر كمية نسبية من مخزوناته باسعار متهاودة وتبيعها فى مخزن « عام » سداً لحاجات الاهلين عموماً ورجال الوظائف العسكرية والملكية الذين كانوا يتقاضون رواتبهم انواتاً خصوصاً وكانت قيمة النوت التركى قد هبطت الى خمسها ولم يتقاض ذلك المخزن

ولمد نفوذهم التجارى واستثمار سوق العراق عموما بل انهم نشطوا روبرت ونكهاوس وشركاؤه الى تأسيس بيتهم التجارى فى بغداد برئاسة المستر براون الذى يعرفه تجار بغداد ولا يجهل القراء ان هذا البيت لعب دوراً مهما فى سياسة المانية فى خليج فارس والبصرة. هبط اصحابه قبل الحرب فى اول امرهم لنجة وكانوا يتاجرون بالصدف واللآلئ وفى سنة ١٩٠١ انتقلوا الى جزائر البحرين ولم يطل الامد عليهم حتى ظهروا بمظهر الاثراء والغنى ووسعوا نطاق اشغالهم وفتحوا شعباً لتجاراتهم فى البصرة وبوشهر والمحمرة والاهواز. وكانت تدل كل اعمالهم على ان مقصدهم كان سياسيا اولا وتجاريا ثانيا ولما فتحوا بيتهم فى بغداد فى ابان الحرب اشتغلوا اشغالا تجارية واسعة النطاق فى الواردات والصادرات والصيرفة فى العراق وبلاد فارس. واهتموا بتجهيز الحملة الالمانية العسكرية الى بلاد فارس وقدموا لها وسائل النقل والمؤن وكان يعضدهم فى اعمالهم هذه احد البيوت التجارية العراقية.

وفى سنوات الحرب بقيت التجارة بمشارفة الحكومة التركية فاصدرت اوامر مختلفة وتعليمات عديدة وحددت كمية اخراج

وشرائهـا وفى وفاء الديون واداء الضرائب ليرة ذهب . وكانت شريعة البلاد تقضى بالتعامل به اجباريا . وكانت الحكومة تحتاج الى نقود الذهب فتبدل عند التجار مقادير من عملة الورق كل ليرة منها بليرة ذهب. وراقب الاتراك الصيارفة اشد المراقبة ونكلوا تنكيلا ببعض الذين تعاملوا بدراهم الورق باوطأ من سعرها الاسمى .

ومن الماجريات التى أثرت على تجارة العراق اعلان قانون تأجيل الديون العثمانى. ولم يكن العراقيون قد سمعوا قبل هذا (بالموراتوريوم) القانون الذى ساعد المديونين على تأخير دفع ديونهم وتجزئتها الى اقساط .

وسعى الالمانيون فى توسيع دائرة تجاراتهم فى بغداد بعد سقوط البصرة ففتحوا هنا شعبة للدج بنك وبقى هذا المعهد المالى حتى احتلال البريطانيين بغداد .

وقد انفقت البعثة الالمانية العسكرية فى العراق وايران مبلغاً من المال ذهبا وفضة زاد تداول النقد ونشط الحركة التجارية فى البلاد ولم يكتف الالمان بتأسيس الدج بنك فى بغداد لاعمال بعثتهم خصوصا

والمواصلات وان كانت مقطوعة رسميا بين العراق ودول الحلفاء الا ان التجار هنا كانوا يتوسلون بالوسائل لمراسلة اصحابهم فى تلك البلدان ومفاوضتهم فى امور البيع والشراء فكانوا يرسلون برسائلهم وبرقياتهم الى بلاد اليونان اوسويسرة اواميركة قبل ان تدخل الحرب اوغيرها من الدول المحايدة ويأخذون اجوبتها بتلك الطريقة ايضا دون ان يتركوا مجالا للمراقب ليظن بهم سوءاً أو يشك فى ان تلك الرسالات تبعث الى لندن اومانجستر اوباريس اومرسيلية اوغيرها من مدن المتحالفين الذين كانوا فى الحرب مع تركية . وقد كان العراق فى زمن الحرب على عهد الاتراك يراسل المانية واوسترية وسويسرة ويطلب منها ماخف حمله . فتأتى البضاعات طرودا فى البريد ، كالادوية ، وورق السيغارة ، والدانتيلا ، والمخرمات ، والخردهوات ، والعطور ، والزخارف ، واقمشة الحرير ، وغيرها

وقد كان لاصدار البنك نوت العثمانى دور مهم فى سير التجارة فى العراق . اسعاره بين صعود وهبوط فكان تقلب يفيد التجار اويضرهم ولاسيما كان سعره الاسمى فى المعاملات الرسمية بين التجار والبنوك والحكومة يعتبر سعرا حقيقيا فى بيع التحاويل

حاجياتهم وكمالياتهم ولاسيما بعد ان دخلت تركية الحرب فى ١٩ اوكتوبر فى جانب المانية والدول المركزيه فمنع الحلفاء عنها المراكب وسدوا فى وجهها سبل التجارة البحريه . وقد كان فى ممكس البصرة من الاموال والبضاعات والامتعة المتضاربه الانواع شيء كثير منها كانت برسم النقل الى بغداد ومنها كانت الى البصرة نفسها فلما اخلاها الاتراك بقيت اياما بدون حكومة حتى احتلها البريطانيون في ٢٢ نوفمبر ١٩١٤ .وفى هذه الفترة الخالية من الحكومة مرفأ العراق الشهير مد السراق ايديهم على الممكس ونهبوا كل ماوقعوا عليه من البضاعات فبيعت المنهوبات باسعار بخسة للغايه

وكان فى مخازن البريطانيين والايطاليين فى بغداد انواع من البضاعات كاقمشة حرير وقطن وصوف وسكر وشاى ونحاس وبترول وحديد وبن وثياب وفلزات وخردهوات وزجاج نوافذ واكياس كونى الخ فلما ابعدت الحكومة اصحاب تلك التجارات ومديرى المؤسسات كالاسترن بنك، ولنج، وداود ساسون، وستريك سكوت، وهنريكس وضعت يدها على مستودعاتهم واخذت منها ما كانت فى حاجة اليه وباعت مابقى فى المزايدة العامة .

التجار غاصة بالامتعة والبضاعات الثقة المالية مقوضة الاركان واسعار السلع فى نزول مطرد . وصكوك التجامل (الاوراق الصورية) تترى فى السوق وقصارى الكلام كانت الجائحة الاقتصادية تظهر باتم مظاهرها وتتجلى بيناتها لكل ذى بصر ومما كان يؤيد حلول الازمة القاعدة التى قالها الاقتصاديون ان الجائحات الاقتصادية تأتى فى ادوار معلومة تتراوح بين سبع وعشر سنوات : والذى يتدبر سير الاحوال التجارية فى العراق يثبت لديه ان الجائحات الاقتصادية تنتاب البلاد مرة كل سبع سنين على الاكثر . ولهذا لما اعلن النفير العام فى آب سنة ١٩١٤ وقبلت الحكومة التركية البدل النقدى عوض الخدمة العسكرية من صنفى الاحتياط والرديف ظهر عسر مالى لم يكن فى الحسبان فبلغت الفائدة ستين فى المائة لقاء رهن ذهب .

لم يكن دور الضيق الا عهداً قصيراً فاصبحت تلك البضاعات التى كانت فى مستودعات التجار فى بغداد نعمة لهم ومنهلا يغدق وابل الارباح والخيرات . فقصد بغداد تجار سوريه وايران واعالى بين النهرين والاستانه ليبتاعوا منها

المحاضرة الخامسة

تجارة العراق

منذ الحرب العامة حتى اليوم

حالة التجارة فى العراق قبيل نشوب الحرب العامة ـ نشوب الحرب والتجارة تجارة الحلفاء فى الحرب ـ اصدار البنك نوت العثمانى قانون تأجيل الديون ـ تجارة المانية فى الحرب ـ الادارة العرفية والتجارة ـ احتلال البريطانيين البصرة وبغداد ـ اتساع نطاق التجارة فى العراق ـ مقاديرها مع دول اوربة ـ دور الرجعة واسباب الازمة التجارية الحاضرة

فى سنة ١٩١٤ قبيل ان تشب الحرب العامة وتحرق بشررها العالم كانت تجارة العراق على ابواب ازمة ضيقة العرى وكانت مستودعات

ومدلولها المبادلة والتجارة .

ومما كان ينتقد على كمرك البصرة قبل الحرب انه لم يكن محفوظا من الامطار فكانت مياهها تضر بالبضاعات المتراكمة المعدة للشحن الى بغداد ولم تتمكن السفن القليلة العدد من نقلها وقد بلغت الشكوى عنان السماء ولاسيما وان شركات الضمان كانت مسؤولة بذلك الضرر ودفع ثمن البضاعات التي تعطب .

وكان يصل الى ميناء البصرة عدد من المراكب البحرية لشركات عديدة منها انكليزية والمانية وروسية وعربية وفارسية وكان يبلغ عدد الشركات عشرة.

وقد دخل ميناء البصرة هذه المراكب بالحمولات الآتية

سنة ١٩١٢	سنة ١٩١٣	
٥٧٨	٤٤٥	عدد المراكب
٣٢٤٤٥٧	٣٤٦٩٣٩	مجموع الحمولات طناً

واذا وقع اختلاف بين التاجر والضامن ينتخب اثنان من الخبيرين بالاسعار يحكمان بينهما. وفى سنة ١٢٥٤ هجرية ١٨٣٨ م بدأ فى المملكة العثمانية اسلوب التعريف ولكن لم يصل العراق الا بعد ذلك الحين . ولم يتشبث العثمانيون بتنظيم ادارة الكمارك الا فى سنة ١٢٧٨ هجرية ١٨٦١ مسيحية فعينت الحكومة التركية كانى باشا «امين الرسومات» وعلى اثر هذا التعيين نظم ممكس بغداد والبصرة وارتفعت الضرائب الى ٨ فى المئة على اسلوب التعريف وبعد ذلك بعهد ط ويل الغى التعريف وشرع التجار يدفعون على اموالهم تلك الضريبة باعتبار قيمتها . وقد بلغ دخل كمرك بغداد سنة ١٨٩٢ اوحواليها ١٣٠٠٠٠ ليرة عثمانية وفى سنة ١٣٦٦ مالية ١٩٠٦ م بلغ ١٦ مليون غرش اى نحو ١٦٥٠٠٠ ليرة عثمانية وفى السنة التالية ارتفعت ضريبة الكمرك الى ١١ فى المئة فبلغ دخل كمرك بغداد ٢٦ مليون غرش ثم ارتفع الى ١٥ فى المئة. وتدفع البضاعات التى تمر من العراق برسم ايران وكذلك اخراجات حاصلات العراق الى البلاد الاجنبية ضريبة كمرك واحداً فى المئة .

وان اصل لفظة كمرك مشتقة من الحرف اللاتيني Commericum

البنك لا يفتح له شعبا فى بلاد فارس . وبقى البنك العثمانى وحده فى العراق وفتح له شعبة فى البصرة واخرى فى الموصل . ولم يكن هذا الاتفاق من مصلحة التجار بشئ . ولم يأت غيره الى العراق حتى قبيل الحرب اذانشأ الاسترن بنك مهدا فى بغداد .

وفى العراق طائفة من الصيارفة اليهود الذين يقضون اعمال التجار ويحفظون دراهمهم ويقطعون لهم الاوراق ويشترون ويبيعون لهم بواليجهم على داخل القطر وعلى خارجه .

كلمة فى كمارك العراق

ان المماكس قديمة فى العراق وقد قلنا عنها كلمة فى معرض محاضرتنا عن التجارة فى عهد العباسيين ثم رأينا لها ذكرى فى القرن السادس عشر فى رحلة الدكتور ليونهارث الى بغداد . وقد جاء فى مجموعة خطية يرتقى تاريخها الى اوائل القرن التاسع عشر ان ضريبة الكمرك كانت فى البصرة ثلاثة فى المئة من قيمة البضاعات. وكانت الكمارك فى بغداد والبصرة تعطى بالضمان حتى منتصف القرن الماضى ويدفع التجار الى الضامن خمسة فى المائة عن قيمة الاموال تقديراً

ويشحن من بغداد اويرد اليها .

وكان يتراوح مجموع الاعمال التجارية فى العراق بين واردات وصادرات بين خمسة ملايين ليرة اوستة ملايين سنويا .

ان الصادرات المدونة اثمانها فى البيان الانف الذكر لاتشمل البضاعات التى تصدر من بغداد الى ايران بل هى التى صدرت الى اوربة واميركة وغيرها من بغداد والبصرة عن طريق النهر والبحر . سواءاً كانت من حاصلات العراق اومن ما تى بلاد فارس .

ان هذا البيان لا يشمل اثمان تجارة العراق مع سورية عن طريق البر لان القطرين كانا فى حكم دولة واحدة .

البنوك فى العراق

ومن اسباب تقدم التجارة فى قطرنا فى اواخر القرن التاسع عشر وزيادة ثقة اوربة التجارية بنا كان فتح البنوك هنا . ففى سنة ١٨٩٠ نزل بغداد البنك الشاهى الايرانى ولكن لم تطل مدة اقامته فى بغداد والبصرة عهداً طويلا بل رحل وذلك بنتيجة الاتفاق الذى عقد بينه وبين البنك السلطانى العثمانى سنة ١٨٩٣ فترك البنك الشاهى العراق لقاء مبلغ من المال تقاضاه من البنك العثمانى بشرط ان هذا

الصادرات

سنة ١٩١٠	سنة ١٩١١	سنة ١٩١٢	سنة ١٩١٣
من بغداد			
٨٥٣٩٦٣	٧٤٦٨٢٤	٩٣٠٧٦٠	٧٥٥٠٠١
من البصرة			
١٦٦٨٦٢٤	٢٥٢٥٨٤٧	٣٢٤٦٥٦٠	١٩٣٩٢٥٩

الواردات

سنة ١٩١٠	سنة ١٩١١	سنة ١٩١٢	سنة ١٩١٣
الى بغداد			
٢٧٣٦٤١٤	٢٦٦١٤٦	٢٨٢٢٨١٧	٢٩١٤٥٣٦
الى البصرة			
٢٦٣٤٥٩٦	٢٨٥٥٦٧٧	٢٦٣٧٨٠٩	٣٨٩٩٢٧٣

ملاحظات مهمة : ان قسما من الصادرات من البصرة والواردات اليها وان يدفع المكس فى تلك المدينة اذ انها ميناء العراق الا انه

وكانت لنا علائق تجارية بكثير من ولايات الحكومة التركية لاسيما عاصمة آل عثمان . الا ان اغلب البضاعات التي كنا نستوردها منها كانت من مصنوعات اوربة . وكنا نصدر اليها السمن والطنافس الفارسية، وقليلا من جلود الغنم المدبوغة (الميش) والتمر

وقد رأينا ان ننهي هذه النظرة العامة بكلمة عن علائقنا التجارية ببلاد كردستان قبل الحرب . فكان العراق يرسل اليها كل ما تحتاجه من البضاعات والاقمشة والسكر والبن والشاي والتوابل وغيرها وكان يستورد منها التبغ ولهذه التجارة خطورة كبيرة لان معظم التبغ الذي يدخنه العراقيون في لفائفهم هو من التبغ الكردي الذي يأتي من سليمانية وكوي سنجق وغيرهما .

ويأتي من تلك الاصقاع الينا الحبوب، والسمن والجبن والصوف والمن ، والعسل ، والجلود ، والغنم وغيرها .

وقصارى القول ان الحركة التجارية في بغداد والبصرة كانت كما يظهرها البيان الاتي بالليرات الاسترلينية :

قز سوداء تتخذ عصائب للرأس . وقد شحن الى جدة من الحبوب ما يأتى

	سنة ١٩١١	سنة ١٩١٢	سنة ١٩١٣
طن	١٨٠٠٠	٤٠٠٠٠	٢٠١٠٠

وكنا نبعث من العراق الى سورية ومصر السمن والماشية (من غنم وبقر) والتمر والطنافس الفارسية والتنباك وغيرها .

وكان يأتينا منها الصابون وخيوط السوتلى والقنب والتيل (وهى خيوط الفضة للتطريز) والكلبدون يستعمل فى حياكة ازر وعباآت العراق والعجلات وشيء من البضاعات الاوربية المختلفة الانواع . وليس لدينا من الاحصاآت ما يظهر مقدار ذلك بالارقام وغاية ما نتمكن من الحكم فيه ان علائق ابناء التجار مع سورية كانت فى منزلة رفيعة وكانت تنقل البضاعات اما عن طريق دير الزور او عن طريق برية الشام عن طريق بين النهرين والخابور الى حلب اما صادرات بغداد وحدها الى مصر فكانت تتراوح قيمتها بين ٢٠٠٠٠ و ٣٠٠٠٠ ليرة سنويا . وواردادتنا من مصر فهى ضئيلة جداً .

على اختلاف انواعها ويوسق معظمهاالى اميركة واوربةوالاستانة وسورية وغيرها من بلاد الله .

وتبعث اليناالتنباك الاصفهانى «ويوسق منه الى سورية» والصوف والجلود والافيون والحرير والصمغ والفواكه اليابسة والفواكه الطريئةمن حاصلات بلاد ايران الجبلية . والسمن والقطن والفضة والجواهر والشال الكشمير ومن المصنوعات الفارسية الجميلة كآنية الفضة .

واليك احصاء الصادرات من بغداد الى ايران والواردات منها بالليرة الاسترلينية :

	سنة ١٩٠٩	سنة ١٩١٠	سنة ١٩١١	سنة ١٩١٢
الصادرات	١٢٥٩١٣٨	١٤٣٣٢٠١	١٢٣٦٦٩١	٩٦٢٨٣٣
الواردات	٣٢١٦٦٢	٢٨٠١٨٨	٢٠٦٦٩٩	٣٠٢٠٨٧

ونحو ٧٥ فى المائة من التجارات التى توسق من بغداد الى بلاد ايران تأتينا من بلاد الانكليز اوالهند .

وكان معظم تجارتنا مع بلاد العرب فى الصادرات فكنا نصدر اليها الحبوب والتمر والكشائد الغبانى « والمقرونات » وهى مناديل

فقد كان يبلغ عددهم ١٠٠٠٠٠ زائر فينفقون مدة اقامتهم فى بلادنا مبالغ طائلة ويشترون من اسواقنا بضاعات مختلفة ينقلونها الى بلادهم

وتجمع بين العراق وايران ثلاثة طرق الواحد من البصرة الى الاهواز براً ونهراً والثانى من بغداد عن طريق خانقين فقصر شيرين فكرمنشاه والثالث من الموصل الى رانية عن طريق اربيل وكوى سنجق. والطريق الثانى هو اهم الطرق التجارية.

ولتجار العراق فى البلاد الفارسية وكلاء وبيوت فى كرمانشاه وهمدان وطهران وغيرها كما ان للايرانيين فى بلاد العراق عدداً من البيوت التجارية. واقول ان اليهود العراقيين والايرانيين يقومون بمعظم التجارة بين العراق وايران.

كانت تنقل التجارات من بغداد الى قصر شيرين بالقوافل وهناك يقوم عمال التجار بالمعاملات الكمركية لان بلد قصر شيرين تعتبر من الحدود الكمركية بين العراق وايران.

يرسل من بغداد الى ايران جميع البضاعات التى ترد من اوربة والهند التى مر لنا تعدادها وليس من حاجة الى تكرارها فهى تدفع مكسا واحد فى المئة حق المرور ويرد الينا من ايران الطنافس الايرانية

من الهند والصين واليابان معاً حتى سنة ١٩١١ ولهذا نتمم ذلك الاحصاء حتى لسنتى ١٩١٢-١٩١٣ ايضا واليك ذلك الاحصاء احصاء البضاعات الواردة الى بغداد من الهند والصين واليابان بالليرة الاسترلينية.

سنة	سنة	سنة	سنة
١٩١٠	١٩١١	١٩١٢	١٩١٣
٦٦٤١٤٧	٧٤٠٥٦٥	٦٦٦١٣٥	٥٧٢٧٦

(٥)

فقد افضى بنا البحث هنا الى علاقاتنا التجارية بايران . فاذا اردنا ان ننصف ونصدق الحكم فى الامر نقول ان لولا ايران لفقدت تجارة العراق خطورتها لا بل حياتها . وبعبارة اخرى ان التاجر العراقى ينزل بلاد فارس منزلة القلب والدماغ فى جسم التجارة العراقية ويراقب عن كثب الحركات السياسية التى تجرى فى الدولة القجارية لما لها من الصدى فى اعماله واحواله الاقتصادية ومن التأثير على ثروته وماله .

ويسر التاجر فى السنوات التى يكثر الزوار الايرانيون الذين يؤمون المقامات المقدسة فى كربلاء والنجف وسامراء والكاظمين

مع انها لم تتجاوز ٣٦٠٠٠ ليرة استرلينية فى سنتى ١٩٠٩ ـ ١٩١١ وكانت سنة (١٩١٣) ٣٠٤٩١ ليرة استرلينية فقط واما المشحون من بغداد الى الصين فقد بلغ معظمه فى سنة ١٩٠٩ فى السنوات التى تمتد من ١٩٠٩ ـ ١٩١٣ وكان ثمنه ١٠٤٠٢٩ ليرة استرلينية ولم يكن فى سنة ١٩١٢ سوى ٥٧٣٣ ليرة استرلينية ولا نعرف بضاعات صدرت من ديارنا الى اليابان .

اما التجارات التى يستوردها العراق من الهند فهى التوابل على انواعها (السقوطات) كالفلفل والقرنفل والزنجفيل والهيل والجوز بوا والكركم والشاى وغيرها والسكر البلورى والبن والارز والقطنيات والغزل والنيل والتمر الهندى وخشب الصندل وخشب جاوى والرواصير والنارجيل وشمع الشحم واكياس الجنفاص (الكونى) الخ .

ويأتينا من اليابان والصين الثقاب (الشخاط) واقمشة الحرير والجوارب وغزل الحرير والانية ، والتوسة وغيرها ولكن معظمها يأتى من اليابان .

وقد كانت ادارة المماكس فى بغداد تحصى البضاعات الواردة

الانكليزية نعد الاقمشة الصوفية من معامل براد فورد كالجوخ والشال الالباكه « والفاصونة » (١) وغيرها .

ويرد الينا البن وقضبان الحديد والنحاس . والقصدير ، والتوتيا والشمع ، وزجاج النوافذ ، والفغفوريات ، والفحم الحجرى ، والمعينات للرى والسقى ومكائن الخياطة واسرة الحديد والدهن للاصباغ والدهن للمكائن ومأكولات محفوظة وبسكويت وغيرها مما لا يسعنا المقام ان نتوسع فيه .

بعد ان بحثنا فى تجارات الدول الاوربية والاميركية وعلائق اعمالها بالعراق رأينا من الواجب ان نرجع الى الشرق ونعم نظرنا فى تجارات دوله واقطاره ونقول كلمتنا فى الموضوع . وامامنا من دول الشرق وامصاره الهند والصين واليابان وايران ومصر وسورية وبلاد الاتراك وبلاد العرب .

ان الاخراجات من بغداد الى الهند بلغت سنة ١٩١٢ مبلغاً مهما فقدر بـ ١٥٩٤٤١ ليرة استرلينية لكثرة المشحون من الحبوب ،

---

(١) نورد اسماء الاقمشة باللفظ الاعجمى كما تعرف فى اسواقنا ولا نحاول ان نجد لها مقابلا عربيا

	سنة ١٩١٢	سنة ١٩١٣
الصادرات	٢٨٥٦٢٠	٢٤٦٠٠١
الواردات	١٤١٥٢٨٨	١٣١٤١٣٨

يصدر من العراق الى انكلترة الصوف العواسى والعرابى والكرادى والصمغ العربى والكثيراء وجلود الغنم والماعز والبقر المدبوغة ، والعفص والحبوب ، والحنظل والتمر والافيون. والحنطة والشمير وغيرها .

ويأتينا من بلاد الانكليز بضاعات مانجستر ولنكشير القطنية « كالخام » «والكمبريك» « والجنكل » «والجيت» «والكورنيش» « واليشماغ » وخيوط التيرة والغزل ومما هو حرى بالذكر ان عدداً من البيوت التجارية اليهودية العراقية لها شعب فى مانجستر وقد استأثرت بشراء البضاعات القطنية فى مظانها وبيعها فى اسواق العراق وايران ولم يتوصل الى مزاحمتها مزاحم من وطنيين وانكليز.

ومن البضاعات والامتعة والادوات التى تأتينا من الاسواق

وبعد هذه اللمحة الموجزة فى سير تجارتنا مع الدول التى مر ذكرها علينا ان نسهب قليلا فى خطورة تجارة بريطانية معنا . ونوفيها حقها من البحث كيف لاوابريطانية المنزلة الاولى فى البضاعات التى تصدر من العراق وتدخل اليه وقد كانت النسبة المئوية لتجارتها فى مجموع تجارة بغداد كما يأتى :

	سنة ١٩٠٩	سنة ١٩١٠	سنة ١٩١١	سنة ١٩١٢	سنة ١٩١٣
الصادرات	٣٣،٤	٣٨،٦	٣٨،٦	٣٠،٧	٣٢،٦
الواردات	٥٥،٨	٤٨،٥	٤٥،١	٥٠،١	٤٥،١

اما ثمن البضاعات التى صدرت من بغداد الى البلاد البريطانية ووردت الينا منها فتقدر بالليرات الاسترلينية كما يأتى :

	سنة ١٩١٠	سنة ١٩١١
الصادرات	٣٣٠٣٦١	٢٨٤٣٤٧
الواردات	١٣١٧٧٦٢	١١٩٩٥٩٧

	سنة ١٩١١	سنة ١٩١٢	سنة ١٩١٣
الصادرات	١١٣٥٣٩	٢٢٢٨٢٥	١٤٦٥٣٢
الواردات	٧٢٩٩٨	٦٤٠٠٥	٨٢١٧٦

ولم يكن لتجارة ايطالية مع العراق شأن كبير فى اوائل القرن التاسع عشر مع ان علاقاتها قديمة بالعراق وقد اشتغل تجار نامع ليفورنة وجنوة فى اوائل ذلك القرن حتى منتصفه . وقد كانت تلك الحركة تنتعش فى السنوات الاخيرة التى سبقت الحرب العامة . فالبضاعات الواردة منها الى بغداد بلغت سنة (١٩١١) ١٥٢٤٢ ليرة استرلينية وفى سنة (١٩١٣) ٢٩٣٤١ ليرة استرلينية الا ان فى سنة ١٩١٢ لم تتجاوز ٣٠٠ ليرة استرلينية بسبب الحرب الايطالية مع تركية فى طرابلس الغرب.

وللعراق علاقات تجارية بسويسرة يستورد منها المخرمات والشرائط وبعض اقمشة حرير واقمصة بيضاء للسيدات كما انه يستورد من نروج قضبان حديد وصناديق خشب لكبس التمور فى البصرة وغيرها .

الواردات	٢٣٢٣٨١	٢٠٦٨٠١	٢٦٤٢٣٤
الصادرات	١١٢٠٠	١٦٧٩٢	٢٠٦٩٤

وكانت تجارتنا مع فرنسة فى الحقبة التى تمتد بين ١٨٣١ ١٩١٤ بين زيادة ونقصان الا ان جانب النقصان كان يرجح فبضاعات المانية واليابان وايطالية كانت تزاحم البضاعات الفرنسية. فكان يرد الينا من فرنسة اقمشة الحرير من مصنوعات ليون واجواخ سيدان والبوف والسكر بقوالب ولاسيما من معمل سن لوى والمديترانه والسكر البلورى والبن والعطريات والحامض الليمونى والكبريت الذهبى والعشبة والكحل والبقم وكل البضاعات المعروفة والشمع وعرق كونياك وشامبانية وغيرها .

وكانت تشترى فرنسة من العراق جلود الغنم والمعزى المدبوغة والاصواف على اختلاف انواعها والعفص والكثيراء والرازيانج وجلود الحملان (الاستراخان) وريش الطيور لزينة القبعات، وجلود الحيوانات البرية تتخذ منها الفراء ، والتمر .

وقد بلغت تجارة بغداد مع فرنسة من صادرات وواردات المبالغ الآتية فى السنوات الثلاث :

١٠٣٩٥ ٢٣٦١٠ صادرات

واذا رجعنا الى تجارة النمسة والمجر مع العراق نرى ان بضاعات كثيرة كانت ترد الينا من هذه المملكة كاقمشة الصوف والاجواخ والشال وورق السيغارة وورق الكتابة والسكر البلوري والسكر المسحوق (الجدم) والخرثي (الخرداوات) والطرابيش والخرز والكهرباء والمرجان الصناعيين والدمالج الخزف وزجاجات المصابيح والبن وقد جاءنا منها سنة ١٩٠٦ البترول ايضاً وبقيت تزداد كمية الوارد منه حتى بلغ سنة (١٩٠٩) ٢٢٠٠٠ صندوق ثم اخذت مقادير البترول النمسي بالنقصان الى ان انقطع بتاتا .

وكانت الصادرات الى النمسة قليلة اخصها جلود الغنم المدبوغة والصوف وغيرهما .

وقد بلغت الحركة التجارية النمسية في بغداد الارقام الآتية في السنوات الثلاث التالية .

سنة	سنة	سنة
١٩١١	١٩١٢	١٩١٣

الاميركى الذى كان يرد الى العراق منذ عهد وقد كان الوارد منه الى البصرة سنة ١٩٠٦ يفوق نصف مجموع المقادير الواردة فى تلك السنة وفى سنة ١٩٠٩ ورد ٣٥٠٠٠ صندوق من البترول الاميركى وفى سنة ١٩١١ وصل الى البصرة مركبان مشحونان من هذا الزيت الاميركى . وكان يرد شىء من النحاس الى العراق .

وقد كانت علائقنا التجارية تزداد ببلجيكة يوما بعد آخر حتى بلغت مبلغا لا يستهان به فقد كان يرد الينا منها السكر بقوالب والسكر البلورى وقضبان الحديد والنحاس والشمع ، وزجاج النوافذ ، والثقاب (الشخاط) واقمشة الصوف والاجواخ وغيرها اما الصادرات من العراق الى بلجيكة فقد كانت ضئيلة فى اول الامر ثم اخذت تتوسع قليلا فقليلا واليك بيان قيمة الاموال التى دخلت بغداد من بلجيكة وخرجت من هنا اليها فى غضون الثلاث سنوات المذكورة بالليرات الاسترلينية .

	سنة ١٩١١	سنة ١٩١٢	سنة ١٩١٣
واردات	١٨٣٩٢١	١٧٦٨٠٦	٣٢٨٧١٩

اما علاقة اميركة التجارية بالعراق فليست بعيدة العهد ولا يتجاوز تاريخها اواخر القرن التاسع عشر وكان لها في اول الامر قنصل احد التجار في بغداد وهو المستر هرنز ثم عينت لها قنصلا من ارباب المسلك السياسي . ومعظم تجارة العراق مع اميركة يتوقف على صادرات ديارنا الى العالم الجديد كالصوف والعفص والكثيراء والتمر والطنافس الفارسية وعرق السوس . فقد بلغت الصادرات من بغداد والبصرة الى اميركة للسنوات الثلاث التي سبقت سنة ١٩١٤ كما يأتي :

	سنة ١٩١١	سنة ١٩١٢	سنة ١٩١٣	
من بغداد	٩٥٥٢٠	١٢٠٦٤٦	١٣٩٢٢٣	استرلينية
من البصرة	١٣٤٣٨٨	١٢٨٩٤٠	١٧١٨٠٠	»
المجموع	٢٢٩٩٠٨	٢٤٩٥٨٦	٣١١٠٢٣	»

وقد لا يكون ذكر للبضاعات الاميركية في ما كان يرد الى العراق من البضاعات والسلع الاجنبية قبيل الحرب العامة ما خلا البترول

منشطة هذه الفكرة الا ان اعمالها الاقتصاديه والتجاريه في هذه الارجاء لم تكن واسعه يعتمد عليها في تحقيق هذه الامنيه . واول مرة اسست في بغداد القنصليه الروسيه كانت سنة ١٨٨١ ثم ارتقت سنه ١٩٠١ الى مصاف القنصليات العامه وفي هذه السنه عينها انشئت شركه الملاحه الروسيه في البصرة وانشئ لها فرع في بغداد وكان في كل شهر يأتي الى البصرة سفينه تجاريه فيها امتعه روسيه اخصها البترول الروسي والواح الخشب و « السموارات » واوعيه الشاي «القوريات » واقداحه « الاستيكانات» وكان اهم الصادرات من العراق الى روسيه تمر البصرة والجلود الاستراخانية اوجلود الحملان وكان تجار (مكارة) ينقلونها براً الى بلادهم .

وقد ورد الى العراق من البضاعات الروسيه سنه (١٩٠٨) ٧٩٧٦١ ليرة استرلينيه وبلغت سنه (١٩١٢) ١١١٥٤٣ ليرة استرلينيه وسنه (١٩١٣) ١١٨٦٢٥ ليرة استرلينيه اما صادرات العراق الى روسيه فقد كانت سنه (١٩٠٨) ٣١٧٠٦ استرلينيه وسنه (١٩١٢) ٧٦٦٥٨ استرلينيه وسنه (١٩١٣) ٩٨١٢٩ ليرة استرلينيه .

ليرة استرلينية .

فترى من الارقام التى مرت بك ان تجارة المانية مع العراق كانت تتقدم تقدماً باهراً زاهراً . فكان يرد الينا من المانية السكر والبن ، والنحاس ، واصباغ الانيلين ، واقمشة الحرير والصوف والكتان، والكهرباء والاوانى الخزفية ، والبلوريات والمراياوورق السيغارة وورق الكتابة ، وخيوط الغزل ، والمضخات والماكينات للرى والسقى والمشروبات الكحولية ، والثقاب والطرابيش،والاسرة الحديدوالمساميروالاصباغ الدهنيةوعروض شتى كحامض الطرطير وادوية وعقاقير وغيرها .

اما الصادرات من العراق الى المانية فهى العفص والصوف والكثيراء والجلودوالعظام والسقط خرء الكلاب والتمر وللوزوالحنظل.وريش الطيور والرازيانج وغيرها

نظرة عامة فى علاقة العراق

التجارية بالعالم

كانت انظار روسية تطمح الى مد نفوذها فى خليج فارس حتى البصرة منذ عهد بعيد وقد جاءت وصية القيصر بطرس الاكبر

بضاعات بنسبة ٥ الى ١ بالنظر الى الشركة الالمانية الا ان امر هذه كان يقوى . ومهما بذل البريطانيون من المساعى فى تنقيص التجارة الالمانية فى بلجكة فكان خمسون بالمائة من سكر انفرس الى خليج فارس يشحن على المراكب الالمانية . كما انها كانت تنقل قسما من بضاعات مانجستر وكانت تشحن من حاصلات بلادنا الى اوربة واميركة ومرافئ البحر الاحمر . ولم يأل الالمان جهداً فى ترويج بضاعات معاملهم فى اسواق العراق وفارس فانفذوا الوكلاء والعمال الجوالين ورتبوا القناصل . وكانت تجارتهم تزداد فى العراق زيادة مطردة بلغت قيمة الاموال الالمانية الواردة الى ميناء البصرة سنة ١٩٠٦ ١٠٨،٦٥٠ ليرة استرلينية وبلغت ٥٢٨٤١٥ استرلينية سنة (١٩١٢) و ١،٩٥٧،٤٨٩ استرلينية سنة (١٩١٣) وضمن هذا الرقم الاخير قيمة موادسكة حديد بغداد ولكن على كل تقدر البضاعات الالمانية الواردة فى هذه السنة بـ ٩٠٠،٠٠٠ ليرة استرلينية .

لم تزد صادرات العراق الى المانية زيادة الوارد منها فقد كانت ١٠٠٩٠٠ ليرة استرلينية سنة ١٩٠٦ وبلغت معظمها سنة ١٩١٢ ولم تتجاوز ٣٧٥٧٦٠ ليرة استرلينية. ونزلت فى سنة ١٩١٣ الى ٢٢٦١١٢

فى سبيل بيع اسهمها فى الاسواق اذ كانت تقاطعها انكلترة وفرنسة وروسية .ولم يسر اول قطار بين بغداد وسميكه (دجيل) الا فى اول حزيران ١٩١٤ ولم تتمكن الشركة من ان تتقدم فى اعمالها الى ماوراء سامراء حتى خروج الاتراك والالمان من بغداد سنة ١٩١٧ ولم تقف مساعى الالمان فى توسيع نفوذهم السياسى والتجارى فى العراق وخليج فارس عند هذا الحد بل انهم جاهروا سنة ١٩٠٦ برغبتهم بتسيير سفن تجارية بين اوربة وخليج فارس حتى البصرة فسارت مراكب الشركة «همبورك اميركة » وكانت تقدر يومئذ التجارة الالمانية فى البصرة بـ ١٤٥،٠٠٠ ليرة استرلينية سنويا والتجارة الانكليزية والهندية بـ ٣٠٠٠،٠٠٠ ليرة استرلينية واول مركب وصل البصرة من الشركة «همبورك اميركة» فى آب ١٩٠٦ وكان اول اعمالها انها نقلت السكر البلجيكى من انفرس الى البصرة بسعر ٢٠ شليناً الطن بينما كانت الشركات الانكليزية تتقاضى على كل طن سبعة وثلاثين شليناً باعتبار الطن ١٥ هندرويت وبقى هذا الصراع الاقتصادى بين الشركات الانكليزية والشركة الالمانية عنيفا . واخذ يشتد ازر الشركة الالمانية رويداً رويداً وان كانت تنقل المراكب الانكليزية والهندية سنة ١٩١٣

لحساب الدج بنك،وورتامبرك فرنس بنك Wurttembergische Vercins Bank وكان المستر كولا يجد فى حاضرة الاتراك لترويج مصالح المانية فى الشرق وبين سنة ١٨٩٣ و ١٨٩٦ مدت شعبة اخرى من الخط انتهت فى قونية . واخذت منذئذ فكرة خط بغداد تختمر فى الافكار وشرع الالمان يتحينون الفرص لتحقيق امانيهم وانجاز رغباتهم حتى كانت سنة ١٩٠٣ فظفروا بامنيتهم ونالوا امتياز ذلك الخط العظيم من الباب العالى بشروط كلها بجانبهم وكان هذا الامتياز يخول الالمان حق مد الخط من قونية ماراً باذنة وحران والموصل وبغداد حتى مرفأ البصرة الخطير ويجوز لهم مد شعبتين الواحدة تنتهى الى حلب والاخرى الى الزبير . ولهم بعض الحقوق فى الملاحة فى دجلة والفرات . وكان الالمان قد علقوا الآمال الطيبة السياسية والعسكرية والتجارية على هذا الخط الخطير الذى به يسودون على الشرق ويزاحمون سياسة بريطانية وتجارتها وكان تدشين سكة حديد بغداد بوضع الحجر الاول فى جانب الكرخ من حاضرتنا يوم السبت الموافق ٢٧ تموز سنة ١٩١٢ فى عهد ولاية جمال باشا وداومت الشركة على اعمالها ببطء لما كان يعترضها من العقبات

ان قام ببعثة فى مصر وسورية على طلب السفير الانكليزى فى الاستانة السر د . غوردن سنة ١٨٢٩ . وبين ان شق قناة السويس من الممكنات .

واذا رجعنا الى تأثير ترعة السويس على تجارة العراق اقول ان هذا المشروع وحده احيا تجارتنا وربطها باوربة لا بل بعالم الحضارة باجمعه . اوبعبارة اخرى انقلها عن بسمارك وهى قوله ان قناة السويس هى النخاع الشوكى فى المملكة البريطانية ويحق لى القول هنا انها النخاع الشوكى فى تجارة العراق ايضا .

المانية وتجارة العراق

بعد حرب السبعين التى نشبت بين فرنسة والمانية . دخلت هذه الدولة فى طور جديد من الحياة السياسية والتجارية . وشرعت تطمح الى بسط سلطانها وتوسيع تجارتها فى المسكونة واتجهت انظارها الى بلاد الاتراك وممالكهم المترامى الاطراف الا انها لم تشرع بامر فعال نافذ فى هذا الباب الا منذ سنة ١٨٨٨ اذ نال المستر الفرد كولا امتيازا من الحكومة العثمانية لمد خط حيدر باشا الحديدى حتى انقرة وذلك

يوصل خليج العرب بنهر النيل واتمه دارا الاول المادى . وبعد ان طمى كراه الرومان وبقى حتى عهدالعرب وقدفكر هرون الرشيد بشق السويس الان جعفر البرمكى أثناه عن فكره وهول له الامر وخوفه ان تصل سرايا الروم وسائر الفرنجة الى جدة فيخربون المواطن وقال له ان خرق السويس خرق فى الاسلام وكان رأى العلماء فى ان بحر الروم اعلى من نهر القلزم واذا خرق مابينهما طمى البحر على ارض مصر وغرق عبذال وساحل الصعيد وسواكن وزيلع والنوبة وسواحل اليمن وجدة ومدين وايلة وفاران وغيرذلك فرجع الرشيد عن فكرته. وتجددت هذه الفكرة عند السلطان العثمانى مصطفى الثالث وعهد بدرس المشروع الى البارون دى توت فمات السلطان قبل انجاز فكرته .

وكانى بالدهر قدحفظ لشق هذه الترعة المهندس الفرنسى الشهير فردينان دى لسبس فجمع بين مياه بحرين تجاريين ووصل آسية بسواحل افريقية وكان الاحتفال بفتح الترعة فى ٢٠ ت ٢-١٨٦٩

ومما لايجوز لنا ان نضرب صفحا عن ذكره ان دى لسبس استفاد فائدة عظمى من مباحث جسنى Chesney وتقاريره بعد

وكان هناك خط وصل من القرنة الى بغداد يمر حوالى مدن الفرات كالقرنة وسوق الشيوخ والسماوة والحلة وكربلاء والمسيب وبغداد.

وكان لاربيل خطان حوالى التخوم الفارسية يمر براوندوز والثانى بطريق رانية الى قلاديزة وكان لكربلاء خطان احدهما الى بغداد بطريق الحلة والثانى الى الكوفة بطريق النجف .

ترعة السويس

يجدر بنا ان نقف هنا قليلا وندرس تاريخ هذه الترعة وخرقها وخطورتها فى الملاحة وسير السياسة والتجارة لما لها من الاثر الخطير فى تطور تجارة العراق فى الحقبة التى هى موضوع بحثنا اليوم . كان وصل بحر الروم (البحر المتوسط) والبحر الاحمر مرمى انظار كثير من الملوك الذين سادوا مصر ومدوا سيطرتهم على آسية وافريقية ومن اولئك الذين نزعوا الى القيام بهذا المشروع الخطر كسزوسترس واسكندر وقيصر والخليفة عمر بن الخطاب ونابوليون الاول ومحمد على خديوى مصر . وقد شرع نيخوس hechos بشق جدول

العالى ويضاد مصلحة البريد العثمانى فتوصلت الى الغائه .

وكان البريد العثمانى يسير فى اول امره من بغداد الى دمشق وفى سنة ١٩١٢ بدأ يسير من بغداد الى حلب . وكان للاتراك بريد آخر يسير من بغداد الى اسطنبول « بواسطة التتر » فيسافر من بغداد فشهرزور فالموصل فماردين فديار بكر فسيواس فكيانغرى فازميد وكان يمر باثنين واربعين محلا . والشقة التى يقطعها بين مدينتنا ومقر السلطنة تناهز ٢٨٠٠ كيلو متر . هذا ماخلا البريد الذى كان ينقل الرسالات فى داخل قطرنا من مدينة الى اخرى ومن قرية الى ثانية . وهناك بريد آخر يسافر الى بلاد فارس .

وفى سنة ١٨٦١ انشأت الدولة العثمانية فى العراق ادارة البرق ومدت اسلاك التلغراف . واخذ عملها يتقدم تقدما سريعا وكانت خطوط التلغراف فى العراق تقسم كما يأتى :

(١) الفاو . البصرة . القرنه . بغداد . كركوك . اربيل . الموصل .

(٢) بغداد . الفلوجة . هيت . عانة . مسكنة . حلب .

(٣) بغداد . خانقين . كرمانشاه . طهران .

(٤) الموصل . نصيبين . ماردين . ديار بكر .

فى دجلة والفرات كما تعلمون وكذلك سير الاكلاك التى تنقل البضاعات والمؤن فى دجلة من ديار بكر حتى بغداد . وفى الفرات نوع آخر من السفن وهو الشختور . وتنقل القفف فى النهر بعض الفواكه والخضراوات ومواد الابنية .

ومن الاعمال التى قام بها البريطانيون فى العراق ترويجا لاعمال التجارة وسرعة المراسلة بين هذا القطر وسورية انشاؤهم بريد الهجين بين بغداد والشام . انشأت هذا البريد الشركة الهندية الشرقية حوالى سنة ١٨٤٢ وكان العاملان الاكبران فى اخراج هذا المشروع من حيز القوة الى حيز العمل القنصل الانكليزى والاثرى الشهير رولنصون والمستر هنرى بلوص لنج . وكان هذا البريد بعهدة القنصل الانكليزى العام فى بغداد يسافر مرة فى الاسبوع ويقطع المسافة بين عاصمة العباسيين وعاصمة الامويين بستة ايام فى الحد الاعظم . وكان يحمى سيره بعض شيوخ الاعراب الذين كانوا يتقاضون جرايات بدل خدمتهم هذه .

وبلغ هذا البريد منزلة من الثقة عند التجار الوطنيين والاوربيين الا ان الحكومة التركية رأت ان وجوده يجحف بحقوق الباب

لندن وقطعت دجلة سنة ١٨٦٢ . وفى سنة ١٨٦٧ زاد مدحت باشا الشهير عدد البواخر العثمانية . وبقيت المراكب العثمانية بعهدة الادارة النهرية حتى اشتراها السلطان عبدالحميد فسميت الادارة الحميدية وفى سنة ١٩٠٧ نشأت فكرة ضم المراكب العثمانية الى المراكب البريطانية الا ان المفاوضات فى هذا الشأن تركت فى سنة ١٩١٠ بعدان ارجأ دار الندوة الخوض فيها وذلك فى ١١ ك ١ سنة ١٩٠٩ فى عهد وزارة حسين حلمى باشا .

وقد كانت بواخر لنج تنقل البريد الاوربى الذى يأتى من طريق الهند مع بريد الهند الى البصرة وبغداد ومن هاتين المدينتين الى الهند واوربة . وبقى البريد الانكليزى مستمراً حتى نشوب الحرب العامة سنة ١٩١٤ .

فالسفن التجارية الانكليزية والعثمانية غيرت اسلوب الملاحة فى النهرين دجلة والفرات . ولكن سير البواخر فى الفرات لم يكن مطرداً بل غاية ماهنالك ان طائفة منها صعدت الفرات حتى بلغت مسكنة فى اسفار معدودة وانقطع سيرها فيه وبقيت تمخر عباب مياه دجلة ذهابا وايابا بين البصرة وبغداد . ومع هذا لم يقف سير السفن الشراعية

تجـارية « دجـلة » و « نيتوكريس » و « كومت » وانضمت اليها « الفرات » التى كانت فى بوشهر وفى السنة التالية وصلت هذه السفن بغداد . وفى سنة ١٨٤١ وصلت الباخرة الصغيرة « نمرود » مسكنة على الفرات .

وبعد ان تم الفحص وانهت البعثة مهمتهـا قـررت الحـكومة البريطانية ان ترجع ثلاثا من السفن ويقوم عوضها شركة تجارية انكليزية لنقل البضاعات والمسافرين . فتقدم توماس كيرلنج ورغب فى تأليف هذه الشركـة وبناء البواخر التجارية فلاقى طلبه بعض الصعوبات من حكومة الاستانة المركزية . وسبب ذلك ان الحكومة التركية المحلية فى بغداد كانت قد ابتاعت باخرة وسمتها « بغداد » فى عهد الوالى كوزلـكلى محمد رشيد باشا (١٢٧٣) (١٨٥٦ م) وارادت ان تنشىء غيرها فتقوم فى الملاحة فى دجلة والفرات ولـكن باخرة بغداد لم تقم حق القيام بنقل البضاعات ولم تف بالمرام فسـعى آنئذ الخواجة يوسف عزرا ابراهام كرجى بانشاء شركة ملاحة ولـكن مساعيه خفقت وباتت فكرته عقيمة وفى خريف سنة ١٨٦٠ تألفت شركة الملاحة فى دجلة والفرات لمؤسسها النج وبعد ذلك انزلت الباخرة

للملاحة وانه يجمع بين سورية والهند عن طريق خليج فارس . فارادت الحكومة البريطانية ان تكون على بينة من الامر فارصد مجلس العوام ٢٠٠٠٠ ليرة استرلينية لسبر اقتراح جسنى . وفى سنة ١٨٣٥ اتت البعثة برئاسة الكولونل المذكور ومعاونه الثنيان (١) هنرى لنج ومعهما باخرتان وهما « دجلة » و «الفرات» فوصلا سالمين الى بيره جك . الا ان الباخرة « دجلة » غرقت فى نهر الفرات على اثر عاصفة ثارت هناك وغرق معها عشرون من طائفتها بينهم ر.ب لنج اخو الثنيان اما الباخرة « الفرات » فقد وصلت البصرة ثم بوشهر وفى سنة ١٨٣٧ تركت هناك .

وفى سنة ١٨٣٧ خلف لنج Lynch جسنى فى رئاسة « بعثة فحص الفرات ودجلة » وقام بفحص مجرى دجلة من ارمينية حتى البحر وفى سنة ١٨٣٩ بعثت الشركة الهندية الشرقية بثلاث سفن

---

(١) اخترنا هذه الكلمة لنعنى معاون الربان او القبطان الثانى فى السفينة .

فى الحجر الصحى بحجة انها كانت تعيق الحركة التجارية .

ولا نغفل عن ذكر التربية والتهذيب والمدارس ومؤثرات احتكاكنا بالاوربيين التى غيرت مناحى عيشنا وانظمة بيوتنا واورثت فى نفوسنا ميلا الى الكماليات فى ترتيب لباسنا واثاث بيوتنا اذ ان العراق فقد زهو العيش بعد سقوط الدولة العباسية ونسى ما كان عليه الاجداد من الترف والرخاء فعاد يقتبس من الغرب فى هذا القرن ما اعطاه فى القرون الوسطى ولكن الوديعة رجعت اليه بحلة قشيبة وقد عالجتها الايادى العاملة فى غضون ستة قرون حتى جعلتها موافقة لروح العصر الحاضر وفقا لناموس النشوء والارتقاء . وحملنا هذا التغيير الى توريد البضاعات من معامل اوربة وافضى بنا الى توسيع التجارة فى هذه البلاد .

جرت السياسة الاوربية شوطاً بعيداً فى تجارة العراق فى هذه الحقبة . فقد رأينا فى محاضرتنا الاخيرة ان البريطانيين والبرتغاليين والهولنديين والفرنسيين يتبارون فى الهند وخليج فارس والعراق بتجاراتهم وسياستهم الا ان الفوز كان للبريطانيين . وفى سنة ١٨٣١ قام الكولونل جسنى يسبر اسفل الفرات واثبت انه يصلح

الاقتصادية عندنا نزوع الأثريين الى استطلاع العاديات المدفونة فى ارضنا والبحث عن المدن القديمة من بقايا الحضارات الغابرة التى كانت قد مدت اطنابها على عدوات دجلة والفرات وسواعدهما اجل ان البعثات العلمية الأثرية توالت منذ اوائل القرن التاسع عشر وبينها الانكليزية والفرنسية والالمانية والاميركية . فعرفت بكت اباتها هذا القطر للاوربيين والاميركيين .

وكان للمؤسسات الصحية (الحجر الصحى والمستشفيات) التى انشأتها تركية فى بلاد الرافدين يد عاملة فى تسهيل سبل التجارة وتوسيع نطاقها كيف لا وهذا القطر كان عرضة للامراض الوافدة منذ الاعصر المتوغلة فى القدم لاسيما للوباء والطاعون الدملى والهيضة وغيرها . فكانت تفتك هذه الامراض الوافدة فى العراق فتخلى المدن العامرة من سكانها وتتركها قاعاً بلقعاً يعشش فيها البوم وينعق الغراب اذ كان السكان يجهلون طرق الوقاية كما كانوا يجهلون وسائل الشفاء . ولا حاجة الى التصريح ان فى مثل هذه الاحوال تكسد الاسواق وتقف المعاملات وتفقد الثقة لا بل تنقرض البيوت التجارية . وقد ينتقد بعضهم الاساليب التى كان يسير عليها الاتراك

تمتد من سنة ١٨٣١ حتى سنة ١٩١٤ والفضل في هذا التقدم يرجع الى الحركة الكونية العظمى التى اخذتنا بتيارها . تلك النهضة التى قلبت العالم الاوربى ونفضت عنه غبار الجمود والخمول ودفعته يجرى فى مضمار الاختراعات والاكتشافات . وان يوفق بين النظرى والعملى . ويسخر البخار والكهربائية فى سبيل نقل البضاعات واخبار التجار . كما ان اختراع الادوات والآلات التى تتحرك بالبخار قلبت اساليب الصناعة القديمة ووسعت نطاقها اى توسيع فخرج الاوربيون فى طلب المواد الاولية لمعاملهم الكبرى وكان العراق من الاقطار التى وجهت انظارهم لشهرة خصبه وريه وكثرة مواشيه ونظراً الى اتساع المعامل عندهم ضربوا فى مناكب الارض وشرقوا وغربوا فى المعمورة وطافوا بلاد المسكونة بمصنوعات معاملهم يريدون لها منفذاً وتجاراً يبتاعونها. فهبطوا قطرنا ببضاعاتهم المختلفة وسلعهم المتضاربة الانواع . فوجدوا فيه سوقا رائجة لموقع العراق الذى يجمع بين قطرين عظيمين يسكنهما مسلمان سامى الجنس وايرانيه .

ومما زاد حركة التجارة هنا وشوق الافرنج الى تأسيس المعاهد

تجارة العراق

(منذ سنة ١٨٣١ ـ ١٩١٤)

بعد ان ضربت الحكومة التركية المركزية المماليك (الكوله مندية) في بغداد ضربة قاضية واستأصلت شأفة نفوذهم من العراق بعزل الوالي داود باشا الشهير ونفيه وقتل من كان قد بقي منهم على يد لاز علي رضا باشا استتب لها الامر في هذه الديار وتسلمت زمام الاحكام . واخذت ترسل الوالي اثر الآخر دون ان يفيدوا البلاد فائدة تذكر لاسيما من الوجهة التجارية التي هي موضوع بحثنا ماخلا بعض الولاة الذين لا يتجاوز عددهم اصابع الكف الواحدة وفي مقدمتهم المصلح الشهير مدحت باشا الذي خلف في العراق مآثر جليلة تنم عن رغبته في اصلاح المرافق الاقتصادية واحياء الزراعة والصناعة والتجارة .

مهما نقل عن سائر الولاة الاتراك واهمالهم امر التجارة في وطننا المحبوب والقعود عن السعي في سبيل مروجات الاعمال الاقتصادية فقد تقدمت تجارة العراق تقدما خطيرا في الحقبة التي

المحاضرة الرابعة

(اسباب رقى التجارة فى هذه الحقبة ـ سياسة اوربة فى العراق ـ)
(بعثة جسنى سفن التجار فى دجلة والفرات ـ شركة لنج ـ)
(انشاء البريد والبرق ـ ترعة السويس ـ المانية فى العراق سكة)
(حديد بغداد ـ تجارتنا معها ـ مع روسية، مع اميركة، مع)
(بلجيكة ـ مع النمسة والمجر ـ مع فرنسة، مع ايطالية)
(مع سويسره، مع بريطانية ـ مع الهند والصين)
(واليابان ـ مع ايران ـ مع سورية ـ)
(ومصر ـ وبلاد آل عثمان ـ)
(البنوك فى العراق)
(الكمارك)
(فيه)

فانهم يجلبون جوخا من اوربه وشاشا رفيعاً من البنكالة وكل انواع الاقمشة من سورات ويسكنون البصرة منذ ان اضطروا الى الخروج من اصفهان اتاها من بمبى وكمرون (بندرعباس) ويسكن فى بغداد احد مستشارى الانكليز مع بعض كتبة وتاجر من الشركة الشرقية التى تعود الى هذا الشعب . اما القنصل الفرنسى فانه يقضى حياة رخية بقدر ما يتمكن منها ولكنه بدون تجارة . وليس هناك من ثمة هولنديون. اما سكان هذه المدينة فانهم يبتاعون الابازير والتوابل من خارك ويتعاطى التجار الوطنيون تجارة البن مع اليمن بنطاق واسع . وفى البصرة تجار يتاجرون تجارات واسعة لحسابهم الخاص مع البندقية وليفورنة بوساطة حلب .

« الكوجرات » « والچطارة » والسكر . ويصدر التنباك من ايران الى سورية بوساطة العراق والصوف والعفص والكثيراء الى اوربة

وجاء فى تقرير فرنسى مخطوط لترجمان قنصلية فرنسا فى بغداد المسيو آشيل مراديان (توفى سنة ١٨٩٥) انه كان يرد الى العراق من البضاعات الفرنسية فى اوائل القرن التاسع عشر بوساطة الاستانة وحلب ما يبلغ قيمتها ثلاثة ملايين فرنك ومنها الجوخ والمخمل « والاسطيفو » والپول « والطرطر » والقيطان والقرمز والبقم . وكانت تبلغ الصادرات ٨ ملايين فرنك منها شال قشمير والحجارة الكريمة ولآلئ البحرين .

ومما يؤيد ورود الجوخ من فرنسة اسماء اجناسه التى لا تزال معروفة الى اليوم فى العراق ومنها « البوف » «وسيدان» وهما على اسمى بلدتين فرنسيتين .

وحرى بالموقف ان نختم هذه الفذلكة التاريخية عن تجارة الاوربيين فى العراق بما كتبه الرحالة نيبهر عند زيارته هذه البلاد سنة ١٧٦٦ قال :

للانكليز القسط الاوفر من التجارة بين الشعوب الاوربية

على طريق دياربكر ونزل العراق بعض البيوت التجارية الارمنية

وجاء ذكر اسفار اهالى لندن وتجارها الى العراق منذ سنة ١٥٨١ ومنهم جون نيوبرى .

وقد كانت القرنة فى سنة ١٥٨٣ دار مكس للاتراك فيدفع التجار هناك ضريبة على سلعهم .

وفى سنة ١٠٧٦ هجرية (١٦٦٥ م) اغرق حسين باشا والى البصرة طائفة من سفن التجار فى مرفأ القرنة وكانت مشحونة بضائع بقصد ان يسد هذا الثغر بوجه والى بغداد الوزير ابراهيم باشا الذى كان قد انفذه الباب العالى لمحاربته واخراجه من البصرة.

ذكر الملازم الانكليزى ويلهم هود الذى رجع من الهند الى انكلترة على طريق العراق فى سنة ١٨١٧ ان اليهود كانوا يتعاطون الصيرفة ويبيعون السفاتج على عملائهم فى حاضرة العثمانيين .

وامتازت هذه الحقبة باتساع تجارة القهوة والنيل والتوابل والشاش والجوخ والجواهر ، والطنافس ،وقطع الشال من مصنوعات ايران واشلمة من صنع الاستانة والمناديل المطرزة والمزركشة وآنية الخزف التي كانت تأتى من ليفورنة وجنوة وكان يأتى من الهند

الهند كالمرجان والزمرد (وكان لها سوق رائجة في مصر) والزعفران وغيرها من الفواكه كالزبيب والتمر والتين واللوز وغيرها مما لا اذكره وانواع كثيرة من الحرير ومناديل تركية وما خلا ذلك جياد الخيل ويرسل منها مقادير وافرة الى الهند سنويا بطريق فارس الا ان اكثرها بطريق هرمز . ويتقاضى منها ملك البرتغال مبلغا كبيراً ضريبة مكس اى اربعين دوقا على كل راس . يدفعها التجار بارتياح اذ ان التجار الذين يجلبون الخيل يدفعون نصف المكوس على البضاعات الاخرى . وبعض تلك الجياد ترسل الى سورية وبلاد الاناضول واوربة حيث تباع او تهدى الى الامراء والى غيرهم من الرجال الممتازين .

وكان يهود بغداد يذهبون الى فارس للتجارة والاعمال كتبريز وسائر مدن تلك الدولة وقد جاء ذكر ذلك فى رحلة لاحد الايطاليين الذى هبط تلك البلاد فى الربع الأول من القرن السادس عشر .

ومنذ احتل الاتراك بغداد احتلالا نهائيا فى عهد السلطان مراد الرابع اتسع نطاق التجارة مع القسطنطينية على طريق سورية وبنوع خاص

(الذين لهما مدن وصياصي فى تخومهما ويتمكنان من قطعهما فمع ذلك انهما يعتنيان بامر المراسلة بينهما ويربيان لهذه الغاية الحمام الزاجل (وخصوصا فى البصرة) فيبعث بالرسالة عند الحاجة من البصرة الى بغداد مع الحمام .

ولما تصل السفن المشحونة بغداد يضرب التجار (لا سيما اولئك الذين يجلبون التوابل لترسل الى بلاد الاتراك عن طريق البر) خيامهم فى خارج مدينة طيسفون فى ساحات مكشوفة حيث يحفظون توابلهم سالمة داخل اكياس حتى يعزموا على ارسالها فى القوافل ومن ينظر الى تلك الخيام من بعيد يظن ان هناك جنودا مرابطة وليس تجاراً ويتوقع ان يرى اسلحة وليس بضاعات . وظننت فى نفسى ان لم اكن على مقربة منها لبادرتنى هذه الفكرة وجاء الى مخيمنا بعض التجار الذين وصلوا مع تلك المراكب وكان بينهم جوهرى قدجلب معه كثيراً من الحجارة الكريمة : كالماس وعقيق ابيض ، يعمل منه قبضات خناجر لامثيل لها ، وياقوت وزبرجد ولازورد الخ وكان التجار يخفون تلك الحجارة ولا يظهرونها لصاحب المكس . وكانوا يرسلون من الحجارة الكريمة شيئا الى

فى العراق حتى فى الايام التى كنت فى بغداد وتكاد تعظم خطورتها لولم تبعث اليها بالمؤن المدن التى فى اعالى الفرات ودجلة لاسيما الموصل . . ولهذا فان النهرين ضروريان كل الضرورة ليس لنقل المؤن فقط كالحبوب والخمرة والفاكهة الخ بل لورود البضاعات بانواعها وكانت ترد يوميا سفن عديدة مشحونه ولهذا فقد كانت هذه المدينة مودع تجارات كثيرة (نظراً الى موقعها الموافق) وكانت تأتى البضاعات من اماكن كثيرة سواء كان بحراً اوبراً لاسيما من بلاد الاناضول وسوريه وارمينية والقسطنطينيه وحلب ودمشق الخ لتوسق بعدئذ الى الهند وبلاد فارس الخ . ومن باب الاتفاق لما كنت هناك فى اليوم الثانى من شهر ديسمبر سنه ١٥٧٤ رسى ٢٥ سفينه مشحونه توابل وعقاقير اخرى ثمينه اتت بحرا من الهند بطريق هرمز الى البصرة التى هى من مدن الاتراك واقعة فى التخوم فصعدت فى النهر فى الوجهة الجنوب الشرقية فى سفر دام ستة ايام هناك افرغت بضاعاتها فى سفن صغيرة فنقلتها هذه السفن الى بغداد وقد قال لى احدهم ان ذلك السفر دام اربعين يوما ونيف. ونظراً الى ان طريقى الماء والبر هما بايدى ملك العرب وصوفى ايران (كذا)

ومنذ سنة « ١٦٣٩ » كان للشركة وكالة فى البصرة دامت ثلاث سنوات . وكان رئيس الوكالة يشغل منصب القنصلية له امتيازات جمة. له حرسه الخاص ومدافع امام داره ويتقدمه فى سيره فى الطريق خيالة بايديهم دبابيس مفضضة . وكان لقنصلية البصرة وكيل فى بغداد من سكان العراق وفى سنة ١٧٩٨ ارسلت الشركة وكيلا انكليزيا فى بغداد عين قنصلا وفى سنة ١٨٠٢ اعترف الباب العالى بالنيابة السياسية الانكليزية رسميا فى بغداد .

وفى سنة ١٨٠٠ ارسلت الشركة وفداً الى شاه ايران وبعد ان انهى مهمته رجع فى نيسان من سنة ١٨٠١ على طريق بغداد وكان يومئذ الوالى سليمان باشا فاحتفى به واى احتفاء .

ومنذ سنة ١٨٢٠ اوقبيل ذلك كان يرسو امام القنصلية الانكليزية فى بغداد مركب وقد رفع العلم البريطانى .

وقد جاء فى رحلة لاحد الهولنديين الذى زار العراق فى النصف الاخير من القرن السادس عشر فوائد عن تجارة هذا القطر لاغنى لنا عن ايرادها لما فيها من الوصف الدقيق والمعلومات الثمينة قال رحالتنا الدكتور ليونهارت رودلف ماتعريبه : ان الفاقة شديدة

عن كل البضاعات التى تصدرها وكان راس مال الشركة بادئ بدء ٧٢٠٠٠ ليرة استرلينية . وكانت ارباحها تقسم فى كل سفر وتبلغ مائة بالمائة ولما كانت سنة ١٦١٢ بلغ راس مالها ٤٠٠،٠٠٠ ليرة استرلينية . وزادت خطورة هذه الشركة فايد امتيازها الملك جمس الاول سنة ١٦٠٩ . واتسع نطاق اعمالها ولبست لباس السياسة فى الهند وبلاد المغول وخليج فارس والعراق . واوفدت الوفود والممثلين الى الملوك والامراء . وقاومت البرتغاليين فى خليج فارس واستولت سنة ١٦٢٢ على مضيق هرمز ولعبت دورا مهما مع الهولنديين . وكان لها وكالة فى بندر عباس اغلقت سنة ١٧٦١ وفتحت وكالة سنة ١٧٦٣ فى بوشهر ومنحهم شاه ايران كريم خان فى بوشهر امتيازات خطيرة . سمح لهم ان يشتروا اراضى بقدر كفايتهم وان يفتحوا وكالات فى كل مرافئ الخليج وان يضعوا مدافع فى وكالتهم وعفاهم من المكوس ومنع غيرهم من دول اوربة ان يجلبوا بضاعات الصوف وامر بمساعدتهم فى تحصيل ديونهم وعفا الدلالين والخدمة وكل من انتسب الى الوكالة من دفع الضرائب والرسوم .

مهما كان من امر البرتغاليين والهولنديين والفرنسيين فى تجارة العراق فانهم لم يبلغوا شأو البريطانيين من النفوذ واتساع الاعمال التجارية فى هذا القطر . فان ولاة بغداد والبصرة روجوا مصالحهم وعاونوهم فى مشاريعهم الاقتصادية واذ كانت علاقاتنا السياسية والاقتصادية مرتبطة بهذا الشعب رأينا من الضرورى ان نتوسع فى تاريخ تجارة البريطانيين فى خليج فارس والعراق .

اول اسطول انكليزى رسا فى مياه الهند كان بقيادة فرنسيس درك « Francis Drake » وذلك سنة ١٥٧٨ ولكنه لم يتمكن من الوصول الى الشواطئ الهندية . وفى السنة التالية جاء الهند فى المراكب البرتغالية القسيس توماس ستفنسن فكتب رسائل الى انكلترة كان لها وقع على التجار هناك وحركت بعضهم الى الظعن الى تلك الاقطار النازحة . وفى سنة ١٥٩٩ تأسست شركة تجارة الهند الشرقية الانكليزية وفى ٣١ ديسمبر ١٦٠٠ منحت الملكة اليصابات هذه الشركة امتياز حرية التجارة فى الهند الشرقية وافريقية وآسية وخوالتها حق لسن الشرائع والحكم فى الجزاء بشرط ان لا تضاد شرائع الدولة الانكليزية . واعفتها من الضرائب

ويكفيه تعريفا المثل الفارسي القائل اذا كان العالم خاتما فهرمز فصه. وكان نفوذ البرتغاليين يمتد من الحبشة الى الصين والى اليابان وكان لهم معاهدات مع كثيرين من شيوخ بلاد العرب وكانوا القوة المسيطرة على البحر الاحمر وخليج فارس . لا بل تقدموا الى البصرة وحافظوا موقتاً على موقعهم هناك حتى سنة ١٧٥٧ فنزحوا عنها ولم يرجعوا اليها .

وقد سعى الهولنديون في مد تجارتهم الى بلاد الهند وزاحموا البرتغاليين واستولوا على ملقا وسيلان وكووا وكان لهم وكالتان في بلاد فارس وقنصل في البصرة بقي هناك سنوات عديدة وسافر حوالى سنة ١٧٥٢ ولم تعين حكومة هولاندة غيره حتى اليوم .

وفي سنة ١٦٧٩ عين لويس الرابع عشر بمرسوم رئيس الكرمليين قنصلا فرنسيا . وفي سنة ١٧٤٠ تعين مطران بابل اللاتيني قنصلا في بغداد وبقي المطارنة يقومون بهذه المهمة نصف قرن ونيف . وفي سنة ١٧٩٦ ـ ٩٧ زار بغداد بعثة سياسية فرنسية وعينت معتمداً للعلاقات التجارية وفوضت اليه امر القنصلية . وهو جان باتست روسو الذي كان وكيل الشركة الهندية الفرنسية في البصرة .

بعض الحسارة باكتشاف فاسكودى غاما الطريق الجديدة الى الهند . وخسرت بلادنا شيئاً من خطورتها التجارية والاقتصادية واستأثر البرتغاليون بحاصلات الهند المرغوب فيها فى اسواق اوربة. وفقد حكام مرافئ بلاد العرب والعراق المكوس التى كانوا يتقاضونها على حاصلات الهند وبضاعاتها .

وفاز البرتغاليون فوزاً مبيناً فى عالم التجارة وقبضوا على زمام الملاحة فى خليج فارس والبصرة . ولما قسم البابا اسكندر السادس مناطق العالم الى امم اوربة بين سنة ١٤٩٣ وسنة ١٤٩٤ كان قد سبق ولقب البرتغال « رب الملاحة التجارية والفتوح والتجارة مع الحبشة وبلاد العرب وبلاد فارس والهند » اى مع كل امصار آسية الجنوبية .

وبعث البرتغاليون باسطولهم الى خليج فارس فى سنة ١٥٠٩ بامرة الميدأ Almeida فحارب اساطيل العرب والمصريين المتفقة واستظهر عليها . ولكن لم ترسخ للبرتغاليين قدم الا بمساعى الفونس دلبوكرك اذا استولى على هرمز استيلاء باتا سنة ١٥١٥ . وان لمضيق هرمز خطورة تجارية وسياسية جلبت اليه انظار الامم العظيمة

مرة بمظهر الحقيقة .

(تجارة العراق فى عهد الاتراك حتى سنة ١٨٣١ : ـ)

احتل السلطان سليمان القانونى بغداد سنة ١٥٣٤ وبقيت بيد الاتراك حتى سنة ١٦٢٣ فدخلها فى هذه السنة الايرانيون حتى استرجعها السلطان مراد الرابع سنة ١٦٣٨ وقد كان قبيل دخول الاتراك العراق قد قام بعض الاوربيين برحلات فى البحار اكتشفوا عالماً جديداً وطرقاً كانت مجهولة تؤدى الى الهند. وقد كان لهذه الاكتشافات مؤثرات على تجارة العراق . اذ كان يعد هذا القطر حلقة وصل بين بلاد الهند واوربه كما بينا ذلك فى المحاضرتين السابقتين .

ففى سنة ١٤٩٢ اكتشف كريستوف كولمبوس اميركة وفى سنة ١٤٩٨ اكتشف فاسكودى غاما طريق راس الرجاء الصالح المؤدية الى الهند ورست سفينته فى مرفأ قاليقوت وكان مرشده فى سفره احمد بن ماجد العربى النجدى . وفى سنة ١٥٢١ اكتشف ماجلان قناة فى اقصى اميركة الجنوبية افضت به الى المحيط الهادى (الاوقيانوس الباسيفيكى) ثم بلغ الهند آمناً سالما .

خسرت تجارة العراق وبلاد العرب فى القرن السادس عشر

جالية من البنادقة الذين نزلوها قبل وصوله اليها ببضع سنوات . وقال ان سكان المدينة يعيشون بالتجارة وحرف اليد فانهم ينسجون اقمشة نفيسة ثمينة من حرير وقصب . وموقع المدينة حسن فتأتيها البضاعات من الهند وبغداد وكرمسير اى البلاد الحارة ومن غير امكنة وهذا مايجذب التجار اللاتين اليها وخصوصا من الجنويين لابتياع البضاعات والقيام بغير اعمال وقد زار هذا السائح كاشان التى كانت شهيرة آنئذ بمخملها وحريرها . وبعد ان طاف بلادايران حل فى مرفأ هرمز فى خليج فارس فقال عنه : يأتى تجار الهند الى هناك بسفنهم مشحونة ابازير وحجارة كريمة ولآلئ واقمشة حرير وقصب ، واسنان فيلة وغيرها من البضاعات فيبيعونها الى تجار هرمز .

ورأينا ان نختم هذا الفصل بقول احد الكتبة الاوربيين عن الشرق فى هذه الحقبة قال : قد اكتشفت آسية حقاً فى القرن الثالث عشر بوساطة المرسلين والتجار الايطاليين الذين نزلوا ضيوفا عند قآنية المغول . فكانت قد بقيت تلك البلاد كأنها فى ظل الاساطير منذ فتوحات اسكندر المقدونى حتى ظهرت فى هذا الزمان لاول

بذلك فنقم منه الشعب وكان الامير قزان بن ارغون اشدهم امتعاضا من هذا الامر فمنع التعامل بالورق فى خراسان .

ولم يكن تيمور اقل وطأة على تجارة العراق من هولاكو فانه فتح بغداد لاول مرة فى سنة ٧٩٥ هجرية ورجع اليها سنة ٨٠٣ (١٤٠٠ م) وبعد حصار دام اربعين يوما اجتاحها وجعل عاليها سافلها وافقر اهلها واقفر منازلها وقتل من البغاددة خلقاً كثيرا وخرب مرافق ثروتها وعطل وسائل تجارتها .

مهما ذاقت هذه البلاد من كؤوس المرارة فى عهد هولاكو وتيمور واضطرب حبل الامن فيها نرى السياح الاوربيين والتجار يرتادونها من حين الى آخر . وقد كان فى الموصل ثم فى بغداد سنة ١٢٩٠ مسيحية من الرهبان الدومنيكيين ريكولدودى مونتى كروس وهو يروى فى رحلته انه رأى فى اسواق بغداد غنائم غنمها البدو من عسقلان حينما سقطت حكومة الافرنج هناك .

وهذا ماركابولو التاجر البندقى الذى زار بلاد فارس (ايران) سنة ١٢٧١ م وربما هبط بغداد على رأى بعض العلماء يذكر شيئاً كثيراً عن تجارة فارس والعراق . فقد لاقى فى تبريز اوبالقرب منها

ومواردهم .. الخ

فاجابه سلطان مصر على تلك الرسالة بكتاب نقل منه ما له مساس بالعبارة المذكورة قال : واما تحريمه على العساكر والقراغولات والشحانى بالاطراف التعرض الى احد بالاذى واصفاء موارد الواردين والصادرين من شوائب القذى فمن حين بلغنا تقدمه بذلك تقدمنا مثله ايضا الى سائر النواب بالرحبة والبيرة وحلب وعين تاب وتقدمنا الى مقدمى العساكر باطراف تلك الممالك بمثل ذلك .. الخ

وفى اواخر القرن الثالث عشر واوائل القرن الرابع عشر ارسلت الوفود من ملوك المغول الى ملوك اوربة فقابلهم هؤلاء بارسال وفود منهم ولقد كانت غاية هذه البعثات سياسية اولا ثم افضت الى نتائج تجارية اقتصادية اذ كان الوفود ينقلون من تحف الاقطار الاوربية والشرقية مااولد رغبة فى نفوس الناس فى الحصول على امثالها من النفائس .

ويروى عن الملك كيخاتو انه اصدر الاوراق المالية او نقود الورق (البنك نوت)واضطر الاهالى الى التعامل بها واضر التجارة

هذا كان شأن تجارة العراق فى عهد هولاكو . لا بل قبيل عهده في ايام المستعصم فقد جاء فى كتاب الفخرى انه لم يجر فى ايام المستعصم شئ يؤثر سوى نهب الكرخ وبئس الأثر ذلك .

ان المغول قد اشتهروا فى الخراب والدمار فى التاريخ وعند الامم الا انهم قبل ان يظهر هولاكو عقدوا عهدة سياسية مع التجار البنادقة الذين كانوا قد اسسوا بيوتاً تجارية فى القرم لجر مغانم روسية الجنوبية التجارية . وفى سنة ١٢٢٣ حملوا حملة شعواء على احد البيوت التجارية الجنوية فى القرم الذى كان يزاحم مصالح البنادقة الاقتصادية هناك .

وعلى كل حال فقد كان هولاكو ضربة مؤلمة على تجارة العراق وربما منع التجار من نقل بضاعاتهم من هذه البلاد الى سورية . ولما جلس السلطان احمد على كرسى المملكة سنة ٦٨١ هجرية (١٢٨٢ م) ارسل الرسل الى سلطان مصر وكتب اليه رسالة مسهبة ومما جاء فيها العبارة الآتية : واطلقنا سبيل التجار والمترددين الى البلاد ليسافروا بحسب اختيارهم على احسن قواعدهم وحرمنا على العساكر والشحانى فى الاطراف التعرض لهم فى مصادرهم

القماش الرقيق الذى يسميه اليوم الاوربيون Mousseline ربما عرف عند العرب بالشاش الموصلى اوالشف.

وقداشتهرالموصليون بتجاراتهم فى القرون الوسطى عندالصليبيين وجاء ذكرهم فى كتاب الف ليلة وليلة . هذا مااردت ان اورده من هذه الالفاظ على سبيل المثال ليس الا.

تجارة العراق فى عهد المغول والتتر

فى سنة ٦٥٦ هجرية (١٢٥٨ م) انقض على العراق طاغية من اكبر الطغاة واجتاح المدن وعاث فيها شرا وفسادا وفتح بغداد عاصمة العباسيين ونكل بالخليفة المستعصم بالله . وقتله شر قتلة وأعمل بالعراقيين السيف والنار فقتل من سكان بغداد ماينوف على مليون نسمة واتلف خضراءهم وغضراءهم فجرى من القتل الذريع والنهب العظيم والتمثيل البليغ مايعظم سماعه جملة فما الظن بتفاصيله. وهل من حاجة الى ان اقول لكم ان ذلك المخرب كان هولاكو المغولى وكيف تكون التجارة ومرافق الارتزاق فى بلاد يحصد منجل الموت الارواح . وتسلب الايادى الأثيمة الاموال وتنهب البضاعات ؟ اليس ذلك من دواعى انحلال التجارة لا بل موتها .

القهوة اصلها من جزيرة العرب من اليمن وفى اللغة الفرنسية Cafe .

السنا فى (الاسبانية) Sena وفى (الفرنسية) Sene ومنه السنا المكى المنسوب الى مكة والمعروف فى بغداد .

Sensal مشتقة من سمسار .

التعريف هو فى الفرنسية والاسبانية والانكليزية Tarif.

Baldaquin البغدادى قماش يعمل فى بغداد وكان اسم بغداد عند الاوربيين فى القرون الوسطى Baldac ومنه اشتق اسم القماش و Cheque مشتق من الصك و Sucre من سكر ومن العتابى جاء فى الاسبانية Tabi وفى الفرنسية Tabis وهو قماش من حرير. قال ابن حوقل والعتابى والوشى وسائر الثياب الابريسم (وكانت من اقمشة بغداد) .

فى الفرنسية Mousselin ou Mousseline والاسبانية والايطالية باختلاف فى صورة الكتابة هى من موصلى نسبة الى مدينة الموصل وكانت هذه المدينة شهيرة فى القرون الوسطى بمعامل نسج اقمشة الحرير المقصب وقد سماه ماركو بولو Mosulin « موصلى » اما

توابل جزائر الهند ولآلئ البحرين وحرير الصين وخزفها وغيرها.

ومن صناعات سورية ومعمولات صور كالسكر المصفى واوانى الزجاج . فتأتى سفن البنادقة والجنويين والمرسيليين فى كل سنة وترسو فى فرض سورية وبعد ان تنزل رجال الحرب واسرهم ومؤنهم تبتاع البضاعات والامتعة والمؤن العراقية والدمشقية وترجع بها الى بلاد الغرب حيث كانت لها سوق رائجة .

طائفة من الالفاظ التجارية العربية

فى اللغات الاوربية

ان دخول العرب بلاد الافرنجة واحتلالهم الاندلس والحروب الصليبية والعلائق التجارية بين القارتين الاسوية والاوربية افضت الى دخول الفاظ عربية كثيرة فى اللغات الاوربية ، وليس قصدنا ان نأتى على ذكرها كلها فذلك مما لا نتمكن منه فى هذه المحاضرة بل ان جل قصدنا ان نورد طائفة من الالفاظ التجارية فقط .

يقول الاسبانيون للعمرة وهو لباس الرأس Coiffe والايطاليون Cufia والفرنسيون Coiffure وهذا الحرف مشتق من الكوفية العراقية .

صلاح الدين الايوبى وارجعتهم على اعقابهم خاسرين ولا اطيل الكلام عن تلك الحملات فذلك ليس من بحثى فى شئ بل انما تطرقت اليها لما لها من العلائق بتجارة الشرق عموما وتجارة العراق خصوصا .

ان الصليبيين الذين هبطوا الشرق ورأوا زهو اقوامه ، وترف عيشهم ، وبهاء حضارتهم ، وابهة حفلاتهم ، وزخرف البستهم المزركشة ، ولذة مآكلهم المعالجة بالتوابل والابازير افتتنوا بعيش العرب ومالوا الى طيباته التى لم يتعودوها فى قصورهم حيث كان يسود الهدو والسكينة والجمود . وكان لاحتكاك الصليبيين بالعرب نتائج خطيرة فى حياة الغرب الاجتماعية والتجارية . فاقتبس الاوربيون من العرب مناحى حياتهم واساليب لباسهم وانواع مآكلهم . وتعودوا مدة اقامتهم فى سورية زرع بعض النباتات الشرقية كالقطن وقصب السكر . وكان الايطاليون وسكان مرسيلية قد استأثروا فى اواخر القرن الثانى عشر بتجارة الشرق مع اوربة فكانت قوافل بغداد ودمشق حاضرتى التجارة الشرقية فى القرون الوسطى تأتى بانواع البضاعات والامتعة الى مرافئ سورية وبينها

فى العراق وسوريه ومصر، لما كان العرب يمصرون المدن ويستخرجون كتب الحكمة والعلوم من اليونانية والسريانية الى العربية، لما كان اجدادنا يبذلون جهدهم فى سبيل التجارة والارتزاق كانت اوربه فى القرون الوسطى متسكعة فى غياهب الجهل غارقة فى سبات الخمول والجمود . مفكرة بالمناقشات النظرية والجدل الدينى . راسفة فى سلاسل الحكم الاقطاعى. واذ كان الغرب على هذه الحال جاء صوت بطرس السائح يدعو القوم الى النزال فى ميدان الوغى مع الشرق . فلاقت دعوته آذاناً صاغية وقلوبا واعية لانه ضرب على وتر الدين ووتر الدين حساس عند الشعوب التى تخلط بينه وبين السياسة . وهذا كان شأن اوربه لما كانت متقهقرة قد شحطت عن سنن الرقى . وهذا دأب كل الامم المتأخرة فى مضمار المدنية فى كل عصر ومصر .

تحشدت الجنود الاوربية ونفروا خفافا وثقالا الى الشرق وكان من امرهم انهم استولوا على فلسطين وسورية وديار مضر وبين النهرين ماخلا الموصل وجاؤوا باساطيلهم الى البحر الاحمر وارسوا فى عدن واجتاحوا سواحل الحجاز واليمن فانقضت عليهم اساطيل

المحاضرة الثالثة

(تجارة الشرق فى القرون الوسطى ـ الصليبيون وتجارة الشرق ـ)
(الالفاظ التجاريه العربية فى اللغات الاوربية ـ تجارة العراق)
(فى عهد المغول اوالتتر ـ تجارة العراق فى عهد الاتراك)
(حتى سنة ١٨٣١ الاكتشافات الجغرافية فى القرنين)
(الخامس عشر والسادس عشر ـ الشركة)
(الهندية الشرقية فى العراق ـ)
(الشعوب الاوربية التجارية)
(فى العراق ـ اقوال)
(السياح الاوربيين)
(فى تجارة)
(العراق)

تجارة الشرق والاوربيون

لما كانت انوار الحضارة والعمران شارقة على بلاد الشرق

الف الف دينار فقال ابو العباس لا يوجد يااخى هذا المقدار فى بيت مال المسلمين ولكن انتظرنى ريثما اتداركه لك. ثم ارسل السفاح من فوره الى رجل تاجر يهودى فاقترض منه هذا المال الجسيم .

وليس هذا المثل الوحيد فى غناء تجار العراق بل كثيراً ما كان يقترض منهم الامراء واولاد الخلفاء والوزراء والمتوظفون فى الدواوين مبالغ جسيمة وقد صادر المقتدر بالله آل الجصاص باءة الجواهر التى الف دينار .

وعندما كانت تقع الفتن فى العراق كان التجار ينقلون بضاعاتهم من الدكاكين الى بيوتهم خشية نهبها وكذلك فعل اهل باب المحول ونهر طابق والقلائين وغيرهم فى سنة ٣١٥ هجرية (٩٢٥ م) لما قصد القرمطى زبارا (١) مع كثرة العيارين والمتشبهة بالجند يتشوفون الى النهب .فما اشبه هذا الامر بما يفعله البغاددة فى زماننا ان شعروا بحدوث فتنة اوباضطراب حبل الامن .

---

(١) زبارا : موضع يظنه صاحب معجم البلدان من نواحى الكوفة.

والسكاكين والنشاب والطريخ الفائق والسلاسل .

وقد اشتهرت البصرة بخزها وبزها وطرائفها وبارزها وهي معدن اللآلئ والجواهر وبها يصنع الراسخت والزنجفر والزنجار والمرداسنج ومنها تحمل التمور الى الاطراف والحناء ولهم خز وبنفسج وماء ورد وبالابلة تعمل ثياب الكتان الرفيعة على عمل القصب وبالكوفة عمائم الخز والبنفسج فى غاية الجودة . وبمدينة السلام الطرائف والوان ثياب القز وغير ذلك وبها عباداني حسن وسامان رفيع وفى بغداد ايضا ازر وعمائم يكاذكي رفيعة ومناديل القصرية والبوبية ومحكم وطرائف وبالنعمانية يصنع اكسية وثياب صوف عسلية حسنة وفى واسط الستور . وفى باقدارى من قرى بغداد تعمل ثياب من القطن غلاظ يضرب بها المثل .

وكان للتجار فى العراق ثروة طائلة تدل على اتساع التجارة . فقد جاء عن ابى العباس السفاح انه نزل عليه فى الكوفة عبدالله ابن الحسن بن على مناظره فى الخلافة من آل البيت فسأله السفاح وكان به حفيا هل فى نفسه شئ يشتهيه فيبلغه اياه. فقال له قد بالغت فى اكرامى واجملت فى صلتى ولكنى مازلت اشتهى ان يجتمع لى مرة

وكانت الحكومة تأخذ ضرائب على التجارات والامتعة على اصول التعرفة الثابتة وكانت هذه التعرفة تتغير من حين الى آخر فقد قرر عضد الدولة البويهى سنة ٣٧٢ هجرية على اسواق الدواب والحمير والجمال عما يباع فيها من جميع ذلك وفعل فى ضرائب الامتعة الصادرة والواردة مازاد فيه على الرسوم القديمة وحظر عمل الثلج والقز وجعلهما متجراً للخاصة وكان من قبل مطلقين لمن يريد عملهما والمتجر فيهما . وقد قال شاعر فى مكوس العراق هذا البيت :

افى كل اسواق العراق اتاوة   وفى كل ماباع امرؤ مكس درهم

وكان نصارى العراق ويهودها يتعاطون التجارة ايضا وقد اشتهر فى نقل البضاعات فى البر طائفة من التجار اليهود الرهدانية كانوا يتقنون اللغات الرائجة فى ذلك العصر وهى العربية والفارسية والرومية والافرنجية والاندلسية والصقلبية يسافرون بين الاقاليم العامرة .

واشتهرت بعض مدن العراق باصناف المتاع وانواع البضاعة . ترتفع من الموصل الحبوب والعسل والنمكسود والفحوم والشحوم والجبن والمن والسماق وحب الرمان والقير والحديد والاسطال

والديباج الرومى والتسترى والفرش الادمى والخز المبسوط والقصب والبهار والقرنفل والدارصيني والمصطكي وجلود السمور والفنك والقاقم والدلق والسنجاب والثعاب . واوانى الخزف الصينى . وصياغات الفضة وحلى الذهب والحجارة الكريمة والجزع واليشب والزمرد والياقوت واللؤلؤ . والمعادن المعروفة يومئذ فى الشرق . والعاج وغيرها .

ومن التجارات الرائجة جياد الخيل وكرام المهارى . والنخاسة وبيع الرقيق الابيض وكانت تقام فى بغداد اسواق خطيرة لهذه التجارة واثرى أناس كثيرون منها وبلغوا من الثروة حداً قصياً . فكان اصحاب القوافل يأتون بالنساء والبنات والجوارى الحسان من اطراف العالم ويعرضونهن فى الاسواق . وقد كان فى بغداد محلة شارع دار الرقيق وهى ناحية على دجلة كان يباع الرقيق فيها قديما وهى بالجانب الغربى . وكانت آثارها باقية حتى القرن الثالث عشر للميلاد وفيها يقول احد الشعراء :

شارع دار الرقيق ارقنى ... فليت دار الرقيق لم تكن
به فتاة للقلب فاتنة ... انا فداء لوجهها الحسن

ايضا الى بغداد فى الفرات من ارمينية واذربيجان فما بعده ومن الروم وتدخل المراكب التى ترد من الهند فى دجلة من بحر فارس الى المدائن .

وكانت بغداد قطب طرق القوافل . . فكانت قافلة تسير من بغداد الى واسط ومن واسط الى البصرة اوراسا الى الاهواز حاضرة خوزستان . وكانت قوافل الحج تسير الى الكوفة فالقادسية وتبلغ بلاد العرب . وقافلة اخرى تسير بالحجاج من البصرة ويسافر التجار الى سورية على طريق الفرات فيمرون بالانبار وحديثة وعانة اوكانوا يسافرون عن طريق تكريت والموصل وبلاد الجزيرة ومن طرق بغداد العظمى طريق خراسان كان يسير فيها من يقصد بلاد فارس فتفضى هذه الطريق الى بلاد ماوراء النهر حتى حدود الصين . هذه خمسة طرق اصلية كانت تنتهى بها القوافل والتجارات الى بغداد وهناك طرق داخلية لم نتعرض لذكرها .

كانت اسواق بغداد مزدانة بانواع الامتعة واجناس السلع تتقاطر اليها من كل قطر ومصر . هناك العود الهندى والعنبر والمسك والكافور والعطر والصندل والزعفران الشعر

وبزان وكاتلان وغيرها ينقلونها الى بلادهم .

وعندنا رحلتان شهيرتان ترتقيان الى القرن التاسع للميلاد وهما رحلة التاجر سليمان ورحلة ابن وهب البصرى وبموجب رواية كتاب سلسلة التواريخ ان الرحلتين المذكورتين ابتدأتا من مدينة سيراف فى خليج فارس وكان يسميها التجار شيلاو .

وقد روى المسعودى ان رجلا من التجار من اهل سمرقند خرج من بلاده ومعه متاع كثير حتى اتى العراق فحمل من جهازها وانحدر الى البصرة وركب البحر حتى اتى بلاد عمان وركب الى بلاد كله وهى النصف من طريق الصين او نحو ذلك واليها تنتهى مراكب اهل الاسلام من السيرافيين والعمانيين فى هذا الوقت فيجتمعون مع من ورد من ارض الصين فى مراكبهم وقد كان فى بدء الزمان بخلاف ذلك . وذلك ان مراكب الصين كانت تأتى بلاد عمان وسيراف وساحل فارس وساحل البحرين والابلة والبصرة وكذلك كانت المراكب تختلف من المواضع المذكورة الى هناك .

وكانت المراكب تأتى الى بغداد فى دجلة من الصين فما بعده ومن اليمامة فما بعدها ومن الهند والزنج فما بعدها وتأتى الاكلاك

سفنهم تقلع من مرافئ اليمن .

الا ان انتشار الاسلام فى العالم اضحى خير وسيلة لتوسيع نطاق الاشغال عند العرب اذن القوم كانوا يجدون فى البلاد التى ينزلونها من ابناء دينهم فيعضدونهم فى مصالحهم وترويج بضاعاتهم . فسافروا الى ملبار وصومطر ، وجزائر الارخبيل العظمى. وعبروا من هناك خليج سيام وارست سفنهم فى جنوبى الصين .

وكان للعرب فى الاسلام ثلاث طرق الى الهند الطريق الاولى برا على بلاد الفرس وكانت تجمع البلاد الاسلامية الكبرى سمرقند ودمشق وبغداد .

والطريق الثانية كانت تأتى السفن فيها من الهند الى مرافئ خليج فارس كسيراف وغيرها والطريق الثالثة كانت السفن تطوف حول جزيرة العرب وترسى فى مرافئ بحر القلزم (البحر الاحمر) كعدن وغيرها فالبضاعات التى كانت تصل الى خليج فارس تنقل الى بغداد نهرا اوبراً ومن هناك بالقوافل الى داخل البلاد. وتنقل الامتعة التى تهبط مرافئ البحر الاحمر مثل عدن الى السويس فاسكندرية والمدن الاخرى البحرية فى سورية وكان تجار جنوة وفلورنسة

السعر زاد فى تلك السنة وضج العامة ببغداد ونهبوا دكاكين الجماعة من الدقاقين وتألبوا الى باب السلطان . فتقدم المقتدر الى ابن الحوارى بان يكتب الى حامد بالاهواز بان يبادر الى الحضور وينظر فى امر الاسعار فيزيل التربص ببيع الغلات لتنحط الاسعار . ثم اتسع الخرق على الراقع وبلغ الشغب معظمه فاضطر المقتدر الى فتح الدكاكين والبيوت التى لحامد الضامن والامراء والوجوه وان يبيع الحنطة والشعير بنقصان خمسة دنانير الكر .

ان العرب قطعوا الفيافى والقفار بمراكب البر اى الابل ونشروا اشرعة سفنهم وركبوا متون الانهار وامتطوا امواج البحار فى سبيل التجارة والبيع والشراء . اجل ان العرب قد تاجروا مع الهند والصين واواسط افريقية وبعض امصار اوربة كروسية والبلاد المنخفظ فى عهد لم تعرف اوربة وشعوبها الشرق الاقصى الا معرفة ضئيلة بالسمع وكانت تجهل قارة افريقية ما خلا بعض سواحلها .

ان علاقة العرب التجاريه بالهند قديمة العهد ترتقى الى زمن الجاهلية ولكنا نظن ان الهنود كانوا يأتون ببضاعاتهم الى مرافئ بلاد العرب ولم يسافر العرب الى الهند الا قبيل الهجرة وكانت

عهد طويل على بنائها حتى اصبحت رومية الشرق اوآبنة العراق وازدهرت فيها التجارة كل الازدهار وقال فيها الشاعر .

ابغداد يادار الملوك ومجتنى　　صنوف المنى يامستقر المنابر
وياجنة الدنيا ويامجتنى الغنى　　ومنبسط الآمال عند المتاجر

وقد اهتم المنصور بالتجارة وبنى الاسواق قريبة من قصره الملكى الا انه امر بعد ذلك بنقل التجار الى باب الكرخ وباب الشعير وباب المحول وجعلهم صفوفا وكان يتقاضى الغلة من الاسواق على قدر الذرع .

وكان ولاة البريد فى الآفاق كلها يكتبون الى المنصور ايام خلافته فى كل يوم بسعر القمح والحبوب والإدم وبسعر كل ماكول فاذا وردت كتبهم نظر فيها فاذا رأى الاسعار على حالها امسك وان تغير شئ منها عن حاله كتب الى الوالى والعامل هناك وسأله عن العلة التى نقلت ذاك عن سعره .

وبقى الخلفاء العباسيون بعد ذلك الزمان ينظرون فى الاسعار واثمان المؤن وينصفون الامة فيها من استبداد التجار. ولنا شاهد على ذلك ماوقع سنة ٣٠٧ هجرية (٩١٩ م) فى عهد المقتدر بالله فان

ونصف قرن فاقتها بغداد خطورة. وكانت بغداد قبل ان مصرها المنصور قرية تقوم فيها سوق عظيمة فى كل شهر مرة فيأتيها تجار فارس والاهواز وسائر البلاد . كما ان سوق الثلثاء كانت سوقا لاهل كلواذى يقيمونها فى اول ثلاثاء من كل شهر قبل ان يعمر المنصور بغداد . (وفى عهد مجد بغداد اصبحت سوق بزها الاعظم وموقعها اليوم الكمرك والمصبغة وسوق البزازين وسوق الجوخجية وسوق الصفافير وغيرها) فنستنتج من هاتين الروايتين ان بغداد كانت حلبة التجار قبل ان يمصرها المنصور . وقد عرف العرب اهمية موقعها نظراً الى التجارة والسياسة فاشاروا على المنصور ان يتخذ هذه البقعة حاضرة المملكة وقالوا له تجيئك الميرة فى السفن من الشام والرقة ومصر والمغرب الى الفرات ومن الصين والهند والبصرة وواسط وديار بكر والروم والموصل فى دجلة ومن ارمينية وما اتصل بها فى سامراء حتى يتصل بالزاب . وانت متوسط بين البصرة والكوفة وواسط والموصل قريب من البر والبحر والجبل.

فبنى جعفر المنصور بغداد سنة ١٤٦ هجرية (٧٦٣ م) فتقاطرت اليها الناس من كل ملة ونحلة للعلم والارتزاق والتجارة ولم يمض

والمضطرب بماله والمترفق ببدنه فانهم مواد المنافع واسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح فى برك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها ... الى ان قال فامنع من الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه وليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل . »

وقصارى القول ان العرب تجار . وان اهل مكة فى الجاهلية والاسلام ارتزقوا من هذه المهنة الشريفة وتفاخروا بها . فلنأت الان على تجارة العراق فى عهد العباسيين .

٢ : تجارة العراق فى عهد العباسيين

رأينا فى محاضرتنا السابقة خطورة تجارة العراق نظراً الى موقع العراق الجغرافى البديع ولم يجهل العرب الفاتحون هذه الحقيقة فى صدر الاسلام . فبعد ان فتح العراق سعد بن ابى وقاص خطط عمر بن الخطاب البصرة بين سنة ١٤ وسنة ١٥ هجرية (٦٣٩ م) عند ملتقى دجلة والفرات . فاصبحت فرضة العراق ومرسى السفن التى تأتى من خليج فارس وبحر الهند ومن سائر مدن العراق مثل الانبار والحيرة والكوفة وواسط على الفرات والمدائن وبعدقرن

مغمض العين لاهتدى فقال صفوان من هو قال فرات بن حيان العجلى فاستأجراه فخرج بهم فى الشتاء فسلك بهم على ذات عرق ثم سلك بهم على غمرة فانتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم خبر العير فخرج وفيها مال كثير وآنية من فضة حملها صفوان بن امية فخرج زيد بن حارثة فاعترضها فظفر بالعير وافلت اعيان القوم وكان الخمس عشرين الفا واخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم الاربعة الاخماس على السريه . وحدث محمد بن جرير الطبرى فى خبر هذه السريه بمثل روايه الواقدى وزاد فيها فى ماروواه ان قريشا لماخافت طريقها الى الشام اخذت على طريق العراق .

وكان نفر من اهالى مكة قد بلغوا من الاثراء حدا قصيا نسبة الى ثروة ذلك العهد ومنهم عبدالله بن ابى ربيعة وعبدالله بن جدعان وصفوان وامية وغيرهم .

وقد اهتم الخلفاء الراشدون بالتجارة والتجار اهتماما عظيما فاوصي على بن ابى طالب الاشتر النخعى بالتجار والتجارة وصية يظنها القارىء من قلم احد اعاظم الاقتصاديين فى القرن العشرين قال استوص بالتجار وذوى الصناعات واوص بهم خيرا المقيم منهم

الكسب والانفاق بها . والامر بالنزاهة والاستقامة والعدل في المعاملات وايفاء الاوزان والمكاييل حقها والتحذير من الغش في المبيعات والسامعون ادرى مني بتلك الكنوز الاقتصاديه لأنهم يرددون آيات الكتاب صباح مساء وفي كتب السير من نفائس الاخبار عن الاتجار ماينبئ عن التبسط فيها . وكذا قل في كتب التفسير .

وهنا اريد ان الفت انظاركم الى امر ذى شأن في سير السياسة والاقتصاد . فاذا وجدت سلامة البلاد في خطر اوقام في سبيل دعوة من الدعوات عوائق تضحى آنئذ المصالح الاقتصاديه فوق مذبح البلاد والدعوة التى يراد بثها . واعظم درس نتعلمه في هذا الباب من رسول العرب فانه اقام نطاق الحجر على تجارة القرش بين قبل غزوة بدر وقد جاءت روايه عن الواقدى في الاغانى تؤيد هذا الرأى ننقلها بحرفها الواحد لما فيها من الفوائد والعبر : ان قريشا قالت قدعور علينا محمد متجرنا وهو على طريقنا وقال ابو سفيان وصفوان بن امية ان اقمنا بمكة اكلنا رؤوس اموالنا فقال ربيعة بن الاسود وانا ادلكم على رجل يسلك لكم النجادة ولو سلكها

والفارسية والحبشية تتنازع النفوذ الاقتصادى وتتوسل بالوسائل لتوسع نطاق تجاراتها فى الجزيرة العربية وتشاركها فى تجارة الهند كما ان الدولتين الرومية والفارسية منها كانتا تتنازعان سيادة العالم . وكل منهما تروم الاستيلاء على المجتمع . فكانت دولة الرومان ربة الحل والعقد فى الغرب وسورية ودولة الفرس ام الامر والنهى فى الشرق والعراق . ولم يدر فى خلد احد ان كل من تينك الدولتين كانت تحمل جراثيم الاضمحلال والوهن فى قلبها لما استولى عليها من البذخ والترف والتراخى . ولم يفكر احد فى ان قوة تصدر من الحجاز تخضع لها القياصرة وان جيشاً ينبعث من ام القرى يعنو له الاكاسرة وكان العامل الاكبر لا بل الوحيد فى هذا الانقلاب تاجرا من قريش كان فى اول امره يضارب باموال خديجة ويتاجر بها بين مكة والشام وهو النبى الحنيف (محمد بن عبد الله بن عبد المطلب) وقد قال عن حضرة الرسول الاستاذ شكرى الالوسى فى كتابه بلوغ الارب « كان النبى صلى الله عليه وسلم » محظوظا فى التجارة » .

وفى الفرقان آيات بينات فى تحليل التجارة ومدحها والحث على

فانهم كانوا اصحاب قوافل ينقلون بضاعات القرشيين والثقفيين فى بلاد الجزيرة . وقد قال استرابوان «ان كل العرب تجار . » ويصدق قوله هذا على اهل مكة المكرمة خصوصا « ومن لم يكن تاجراً فليس عندهم بشئ » .

وقد كانت الجهابذة والصيارفة يقرضون فى الجاهلية اموالهم برباء فاحش اى مائة بالمائة اودينار بدينار . او بكل دينار ديناران ولهذا ترى الآيات فى الفرقان كثيرة فى تحريم الربا . لما كان قد فشى فى تلك البلاد من الغلو فيه ويسند الاقتصاديون هذا الغلو فى الرباء الى ما كان ينتاب القوافل من السلب والنهب من قبائل البدو فى ذهابها وايابها والى كثرة الارباح التى كان يرجيها المضارب والمتاجر ان وصلت القوافل سالمة الى محل البيع .

وقد كانت التجارة فى الجزيرة فى اول امرها مقايضة ثم فضة وذهبا وزنا ثم مسكوكات رومية ومنها الدينار والدرهم .

وكانت اسواق مكة والمدينة وتجارات الحجاز واليمن ونجد قد بلغت مبلغا عظيما من الاتساع قبيل الهجرة . فكانت القوافل تقصد الشام والعراق والحبشة . وكانت الدول الثلاث الرومية

ويظهر ان العرب لم يتوغلوا فى العراق بمتاجرهم قبل القرن السابع للمسيح بل كانوا يقنعون بحط رحالهم فى الحيرة وتأييداً لهذا الرأى نروى ما يأتى : خرج ابو سفيان بن حرب فى جماعة من قريش وثقيف يريدون العراق بتجارة فلما ساروا ثلاثا جمعهم ابو سفيان فقال لهم انا من سيرنا هذا لعلى خطر ماقدومنا على ملك جبار لم يأذن لنا فى القدوم عليه وليست بلاده لنا بمتجر ولكن ايكم يذهب بالعير فان اصيب فنحن برآء من دمه وان غنم فله نصف الربح فقال غيلان بن سلمه دعونى اذن فانا لها . فتوجه الى المدائن وجرى له حديث طويل مع كسرى ابرويز فاظهر من الذكاء وقوة العارضة ماادهش كسرى واشترى منه التجارة باضعاف ثمنها وكساه وبعث معه من الفرس من بنى له اطما بالطائف .

وقد كانت قريش من اكثر القبائل معاطاة التجارة. وقد ذهب بعض اللغويين ان اسم قريش مشتق من القرش والقرش فى اللغة العربية الكسب والرزق ومنها الاقتراش اى الاكتساب او الارتزاق

وقد كان القرشيون سكان مكة والثقفيون سكان الطائف اصحاب رؤوس اموال يضاربون باموالهم اما قبائل البدو الذين كانوا جوارهم

وكان فى الطائف فى عهد الجاهلية طارئة من اليهود ويظن اهل البحث ان منزلة هذه البلدة التجارية رغبت القوم فى الظعن اليها اذ وجدوا فيها مسرحا واسعا للارتزاق .

وكان اليهود والنصارى مبثوثين قبل الاسلام فى جزيرة العرب وكانوا يتاجرون فى البلاد على طولها وعرضها . ينقلون منها التجارات ويأتون اليها بغيرها من الامصار الاخرى . وقد جاء فى كتاب صفة العرب للهمدانى : ان فرسان قبيلة من تغلب كانوا قديما نصارى يحملون التجارة الى بلاد الحبش ولهم فى السنة سفرة .

وقد كان تجار سورية يبيعون القمح والزيت وغيرهما الى القرشيين الذين كانوا نازلين فى واد لا زرع فيه، وكان يهود يثرب قد احتكروا بيع السلع فى البلدة لان رؤوس اموالهم كانت تساعدهم على الاحتكار . وكان الانباط النصارى قد استأثروا ببيع القمح فى سوق مكة المكرمة وكان لهم مخازن ومستودعات هناك .

وكان لقريش اربعة اسفار فى السنة وكان احد اصحاب الايلاف الاربعة يذهب بتجارته الى الشام والآخر الى الحبشة والثالث الى اليمن والرابع يرحل الى فارس .

فى كل سوق على اسلوب غير الذى يجرى فى غيره .

وكان العراق يشترك فى هذه الاسـواق او بعضها ومما يروى التاريخ ان النعمان بن المنذر ملك الحيرة ارسل جمالا محملة بزاً وطيوبا لتباع فى سوق عكاظ ويشترى له بثمنها من ادم الطائف مايحتاج اليه .

وعلى ذكر الطائف نقول كلمة عن منزلتها الاقتصادية . فموقعها الجغرافى خطير فى التجارة فهى فى وسط الحجاز قريبة من سوق عكاظ تقطعها الطريق التجارية العظمى الممتدة من جنوبى الجزيرة فى جهة مكة وبلاد سـورية ويفضى طريقها من الوجهـة الشـرقية الى نجد والعراق .

وكان فيها مدابغ يدبغ فيها الاديم وتجرى مياهها فى الوادى الذى يشـق جانبيهـا . وهى ذات مزارع ونخـل واعنـاب ومـوز وسائر الفواكه .

وكان فيها معبد يزار فى الجاهلية وكانت المعابد فى الايام الحـالية مجتمع التجار على ماالمعنا اليه فى المحاضرة الاولى . وكان اغلب اهلها من الثقفيين الذين كانوا يسـابلون فى بضاعاتهم فى طـرق الجزيرة ويضاربون باموالهم .

والقرفة والمر واللاذن وخيار الشنبر والابلوج والصوف الفاخر وكان الفنيقيون يشترون منه كميات كثيرة . كما انهم كانوا يشترون من العرب الحجارة الكريمة والذهب والعاج والابنوس والحديد الخام . وكان الذهب من مناجم بلاد العرب اومن بلاد الهند اما العاج والابنوس فعلى الارجح كانا يأتيانها من الهند اوالحبشة ولم يرو لنا التاريخ البضاعات التى كان الفنيقيون يحملونها من بلادهم اومن غيرامصار الى بلاد العرب . ولكن الارجح انها كانت اقمشة قطن وكتان وغضاراً ومواعين وخرزاً للزينة وغيرها .

وكانت فرضهم على خليج فارس وبحر القلزم من اكبرالعوامل الفعالة فى احياء مرافق تجاراتهم وتوسيع نطاقها اذ كانت تقصدها سفن الشعوب حاملة من نفائس الاشياء واجملها .

ومما يدل على اتساع تجارة العرب اسواقهم العامة التى كانوا يقيمونها فى مواسمهم لمبادلة الامتعة والغلات واللباس والمفاخرة وهى تعد بالعشرات نكتفى بذكر عدد منها : سوق هجر وسوق عمان وسوق المشقر وسوق صحراء والشحر وسوق حضرموت وسوق حباشه ودومة الجندل وسوق عكاظ . وغيرها . وكان البيع يجرى

فقد سبق ذكر هذا القوم وميله الى مثل هذه الاعمال وعلاقاته التجارية بمصر فى كتاب الخليقة فى عرض كلامه عن يوسف بن يعقوب: واذا قافلة اسمعيليين مقبلة من جلعاد وجمالهم حاملة كثيراء وبلسانا ولاذناذاهبين لينزلوابها الى مصر.»

ولقد كان فى بلاد العرب طرق كثيرة لسير القوافل فيها، ورد ذكرها فى الكتابة الأثرية المعينية فى كتب اليونان والعرب وكلها تتخذ مركزها مكة المكرمة التى كانت منذ الايام القديمة منتدى التجار ومن هناك تتفرع الى فروع عديدة . منها تذهب الى مدن فى جزيرة العرب ومنها الى الشام ومصر والعراق . وسواحل بحر القلزم والمحيط الهندى .

إن الامم الشرقية القديمة كلها تعاطت التجارة مع العرب كما ان العرب فى الجاهلية طافوا بلاد تلك العرب بتجاراتهم وباعوا واشتروا . وقد كانت الجزيرة حلقة الوصل بين الهند والفنيقيين . فكان يرتادها الفنيقيون ليشتروا بواسطتها اموال الهند وبضاعاتها النفيسة وامتعتها الفاخرة . وكانت كل امم العالم الشرقى من فنيقيين وغيرهم يعتبرون بلاد العرب موطن العطور فيبتاعون منها اللبان

ضالتنا المنشودة . وعلى رأى العلماء الراجح انه قدفات مؤرخونا ذكرها . كان مركزهذه المملكة فى القسم الجنوبى من جزيرة العرب بين حضرموت واليمن وكانت عاصمتها معن ويرتقى تاريخ نشأتها الى القرن الخامس عشر قبل المسيح على مايظن .

وقد كانت الدولة المعينية دولة تجارية زراعية . وقد اهلها موقعها الجغرافى للتسلط على القوافل وقد قال عنها العلامة ويبرهم فى كتابه (العرب قبل الاسلام) انهم كانوا وسطاء الاتجار بين الهند وبلاد العرب الجنوبية . ويرتقى تاريخ هذه التجارة الى القرن الثالث عشر قبل المسيح .

وما قلناه عن الدولة المعينية ومنزلتها التجارية نطلقه على الدولة السبائية . فان هذه الدولة امتازت باعمالها الاقتصادية . وكان السبائيون جيران المعينين وانتهى ملكهم سنة ١١٥ ق . م . وقد وصفهم كتبة اليونان فى مؤلفاتهم واستفاضوا فى ذكرهم وذكر تجاراتهم وكانوا فى العصور التى سبقت عهد المسيح خير واسطة لنقل الامتعة ومبادلة السلع بين الامم الشرقية .

ولا غرابة فى امر هاتين الدولتين التجاريتين من بنى اسمعيل

منزلة الاقطار الخطيرة فى تجارتها. وان رجعنا الى شرقى الجزيرة نرى خليج فارس وشاطئه الغربى يمتد من عمان فالبحرين حتى الاحساء وتقوم عليه الفرض التجاريه ومرافئ ملاحى الهند والعراق . وتتصل جزيرة العرب فى الشمال الشرقى براً ببادية العراق وبالحيرة وفيها كانت دولة المناذرة وفى الشمال بتدمر وسوريه وفى الشمال الغربى بفلسطين . ويقسم العرب جزيرتهم الى خمسة اقسام . الحجاز وتهامة ونجد واليمن والعروض (اى اليمامة والبحرين وعمان) اما الافرنج فيقسمونها ثلاثة اقسام اسوة ببطليموس الكلوذى وهى : الباديه وهو القسم الشمالى من الجزيرة والصخريه اى شبه جزيرة سيناء والسعيدة وهى الحجاز ونجد واليمن وسواها .

فاذا غضينا النظر عن العرب العاربه اوالبائدة اوالعمالقة الذين كانوا منتشرين فى سوريه ومصر والعراق ومنهم حموربى الشهير على رأى بعض العلماء الذين يتاجرون فى تلك القرون البعيدة وانتقلنا حالا الى العرب المستعربه تتحقق وجود دولتين عربيتين تجاريتين وهما الدولة المعينية والدولة السبائية .

امعنا فى البحث عن الدولة المعينية فى كتب العرب التاريخية فلم نجد

ونوافيح طيبها ونرى قوافل ابلها تطوى البيد طيا . حاملة تجارات فى داخل البلاد وخارجها . وتقطع سفنها اليم وتجول فى البحر الاحمر والمحيط الهندى وبحر الروم وغيرها . وبعد ان نطوف هذا الطواف الفكرى نرجع ونقول كنا فى بلاد الذهب . زرنا جزيرة الأثراء ، رجعنا من بلاد العطور وكنا نظن (وبعض الظن اثم) انها جزيرة الرمال ، انها باديه عاريه عن ماض اقتصادى عظيم، انها ديار خالية من مرافق الثروة وسبل الاتجار .

ان جزيرة العرب بعيدة الاطراف واسعة الاكناف تحيط بها البحار الثلاثه فيغمرها من الجنوب المحيط الهندى وتقوم هناك بلاد اليمن الخضراء الشهيرة بخصبها وهى جنة الجزيرة لما فيها من الاشجار والمياه والجداول والعيون. وهى منبت البن (القهوة) وغيرها من النبات والمعادن كالذهب والفضة والحديد والبلور والجزع والعقيق والشراب والهيصمى وفى الغرب نرى بحر القلزم (اى البحر الاحمر) يغمر سواحل الحجاز . والحجاز وان كان دون اليمن فى الخصب الا ان منزلته الدينية واجتماع قبائل العرب فى الجاهلية وفى الاسلام حول الكعبة والبيت الحرام . وقربه من بلاد الشام وسوريه ومصر رفعت مقامه الى

المحاضرة الثانية

التجارة فى عهد العرب

التجارة فى جزيرة العرب فى الجاهلية ـ اسواق العرب
ظهور النبى محمد والتجارة فى الاسلام ـ التجارة
فى عهد العباسيين ـ بغداد واسواقها
تجارة الرقيق ـ الضرائب
فى عهد العباسيين
غنى تجار
العراق

§ § §

التجارة فى جزيرة العرب

١ : فى الجاهلية والاسلام

الى جزيرة العرب نوجه انظارنا وندرس تجارتها واحوالها الاقتصاديه منذ اعصرها التاريخية ونستنشق اريج بخورها وعطورها

نبعاً فكانت تبذرق من المدائن حتى تدفع الى النعمان فى الحيرة ويبذرقها النعمان بخفراء من بنى ربيعة ومضر حتى يدفعها الى هوذة بن على الحنفى فيبذرقها حتى يخرجها من ارض بنى حنيفة ثم تدفع الى سعد وتجعل لهم جعالة فتسير فيها فيدفعون الى عمال باذان باليمن .

ويظهر من دلائل التاريخ ان معظم التجارة كان بيد اليهود والنصارى فى عهد الساسانيين ومما يؤيد هذا الظن ان اشراف الفرس كانوا يأنفون من نزول الاسواق والتعامل مع السوقة . وكان الفرس يشترطون على ملكهم ان لا يتاجر فيوجب غلاء الاسعار فى البضائع .

وقد زاد التجارة نشاطا فى العراق اليونان والروم وعلموا اهله اساليب الاشغال وادخلوا فيه روحا جديداً من الحضارة اليونانية والمدنية الرومية .

وسيكون موضوع محاضرتنا فى الاسبوع القادم تاريخ التجارة فى جزيرة العرب والعراق فى عهد العباسيين وانه لموضوع يهم كل عربى بنوع عام وكل عراقى بنوع خاص .

§ § §

والاسرب والقصدير . وبعد ان كان التجار يقضون وطرهم من البيع والشراء تنشر السفن اشرعتها وتتوغل فى البحر فمنها تقصد سواحل افريقية ومنها الهند فيبيع التجار فى تلك الاقطار سلعهم ويوسقون سفنهم من عروض تلك الامصار مثل ثياب الحرير والاستبرق والقرنفل والدارصينى والفلفل والزعفران والهال والصمغ والميعة والصدف والعاج والدر والمرجان والعطر ودهن البان وغيرهامن حاصلات ثغور البحار فتأتى السفن وتفرغ تلك السلع فى العراق فيأخذ الاهلون حاجتهم منها ويبعث بالباقى الى دمشق والاسكندريه ومواني سوريه ومصر فكان العراق حلقة وصل بين دول ذلك العهد وبين الهند فى عصر لم يعرف فيه طريق رأس الرجاء الصالح .

وقد كان للساسانيين علائق ببلاد العرب وكان لهم هناك عامل ومما جاء فى التاريخ ان باذان عامل كسرى باليمن بعث الى كسرى عيراً تحمل ثيابا من ثياب اليمن ومسكا وعنبرا وخرجين فيهما مناطق محلاة . فاغار عليها بنو حنظلة بن يربوع وغيرهم وقتلوا من فيها من بنى جعيد .

وفى روايه اخرى ان كسرى بعث الى عامله باليمن بعير تحمل

والقرنفل وعود الندو الصندل ولم ينقلها الصينيون رأساً الى خليج فارس ولم يتمكن الفرس بتاتاً من ان يمدوا سيطرتهم على الطريق الثانية الى الغرب وهى طريق البحر القلزم . وقد زار سفير الصين فى القرن الخامس طيسفون عاصمة بلاد فارس وقال عنها : فيها ١٠٠،٠٠٠ دار واقعة فى سهل منبسط من الارض ومن حاصلاتها الذهب والفضة والمرجان والكهرباء واللآلئ الثمينة وفيها اوان من خزف وزجاج وبلور والماس وحديد ونحاس وزنجفر وزئبق واقمشة ملونة ومنسوجات مطرزة واقمشة من قطن وسجاد وفرش .

وقد حذا الفرس حذو البابليين فى اتخاذ مجارى الانهر لنقل الصنائع والتجارات فركبوا سفنهم فى دجلة والفرات وانحدروا الى دجلة العورا اوشط العرب ومنه الى خليج فارس فتشطت طائفة منها سواحل بلاد العرب وطافت حول الجزيرة ومرت بالبحرين ونزلت الى بحر الهند فارست فى عدن وهى يومئذ مرفأ مراكب الهند والتجار يجتمعون اليه . وطائفة تشطت سواحل بلاد فارس وكلها حاملة انواع السلع منها من العراق ومنها ترد اليها من بلاد سوريه وبلاد الروم واليونان . كالحديد والنحاس

سايكس فى كتابه تاريخ فارس : ان انوشروان قد سهر على اعظم اسباب رقى التجارة واستحضر كميات وافرة من العدة لاصلاح الجسور وتنظيم الطرق . واصلح طرق الجباية ووضع لها الوضائع بقدر ما كان فيه صلاح الرعية ورفاغة عيشهم فقوى الناس فى ثروتهم .

وقد عرف الملوك الساسانيون ان لاقدرة لهم على مزاحمة الرومانيين والاضرار بهم ان لم يقطعوا عليهم طرق التجارة مع الشرق الاقصى . فالفرس الذين يعتبرهم العالم ان لامعرفة لهم بالملاحة حاولوا ان يقبضوا على تجارة الشرق والغرب بايد من حديد ولكن مهما بذلوا من الجهد فانهم لم يتمكنوا من الوصول الى طريقتهم المنشودة . وغاية ما توصلوا اليه انهم حكموا على احد الطريقين البحريين اللذين يجمعان الهند الى الغرب بخليج فارس . (اى بحر الهند وبحر القلزم) وبقيت السيادة لهم على بحر الهند فقط سيادة مطلقة حتى ان سكان الهند وسكان الحيرة لم يجدوا غير هذه الطريق فكانت مراكب الفرس والهند والعرب تذهب الى جزيرة سرنديب (سيلان) ومن هناك يشترون البضاعات التى ترد من الصين فى الجنوكة (وهى مراكب الصين) كالحرير

فاصبحت هذه الطريق السياسية والتجارية والحربية احدوثة المؤرخين القدماء وكان لها شأن عظيم فى عيون اليونان وقد رسموها فى مصوراتهم وكان للفرس غيرهـا من الطرق التجاريه ومنها المؤديه من اكبتانا (همدان) الى العراق وقد عرفها جغرافيو العرب بطريق الجبال.

وقد كان الفرس على جانب عظيم من حب الزهو والغطرسة والتفنن فى الأثاث والرياش والميل الى التزين بالحلى . ودام هذا التأنق الى اليوم . وعنـد مافتح العرب المدائن وجدوا فيهـا من طـرق الصناعة مايحير الالباب ومن جملة غنائمهم انهم عثروا على صنـدوق ظاهره وباطنه بالديباج المذهب وفى داخله بساط كسرى كله ذهب منسوج بالحرير منظوم بالدر واليواقيت الملونه والمعـادن والجواهر الثمنة والزمرد وكان طوله ستين ذراعا قطعة واحدة فى جانب منه كالصور وفى جانب كالشجر والرياض والازهار وفى جانب كالارض وقد اهتم الساسـانيون بحفر الترع وكرى الانهر وقد قام بشىء عظيم من تلك الاعمال كسرى انوشروان (٥٣١ ـ ٥٧٨ م) فانه اشتهر بترقية الزراعة وتمهيد طرق التجارة وتحسين مالية الدولة وانماء ثروة الاهلين واصلاح المسابلة ورم الجسور . وقد قال عنه الكولونيل

فى الهند تركت اتخاذ المسكوكات من معدن الالكتروم [١] «Electrum» وشرعت تضرب نقودها من معدنين الذهب والفضة وحذت حذو ليديه فى مزجهما بنسبة ١/٢ ١٣ الى ١ . وبقيت تعمل على هذا الاسلوب زهاء قرنين حتى انقرضت السلالة الكيانية .

وقد كانت المسكوكات الفارسية الذهبية تصرف فى بلاد اليونان وكان سعرها يتراوح بين ارتفاع وهبوط كاسعار البضاعات الا ان المستشرق الشهير ثيودور ريناخ يذهب الى ان اسعارها كانت تعادل المعدل القانونى المرعى فى بلاد فارس .

ولم يغفل الرجل المنظم عن تمهيد السبل للمسافرين ولنقل السلع فى اقطار مملكته المترامية الاطراف بل فتح الطريق الملكية العظمى بين سرديس وشوشن وكانت الشقة بين الاقليمين نحو ١٫٥٠٠ ميل فقوم عوجها واصلح اخاديدها ودفن حفرها واخفض مرتفعاتها

(١) «Electrum» . مزيج من المعادن بنسبة ٥٧٫٩ فى المائة من الذهب و ٣٩ فى المائة من الفضة والباقى من النحاس كان يتخذ لضرب النقود . وكان هذا المعدن طبيعياً على رأى بعضهم ومزيجاً مزجته ايدى البشر على رأى الاخيرين .

تجارة بابل اتساعا واوجدت مرافق جديدة للارتزاق وفتحوا ابواباً واسعة لمبادلة البضائع والعروض . وقد بلغت المملكة فى عهد دارا (٥٢١ـ٤٨٥ ق م) شرفات العز واضحت بعيدة الاكناف مترامية الاطراف تمتد الى البحر الاسود وجبال قوقاس وبحر قزوين وبحر الهند ومن بحر الهند الى البحر المتوسط وصحراء افريقية . ويخفق لواؤها على امصار كثيرة واقاليم مختلفة المواقع متباينة الغلات والفواكه متضاربة الصنائع يجد فيها التاجر مضمارا واسعاً لاستثمار راس ماله وينقل بضائعه من قطر الى آخر فى اغلب اقطار العالم المتمدن يومئذ .

وكانت ميزانية مالية الدولة الفارسية فى ذلك العهد ٣،٣١١،٩٩٧ ليرة استرلينية واذا قابلنا قيمة هذا الدخل نسبة الى قيمة النقد اليوم بلغ ستة وعشرين مليون ليرة استرلينية .

هذا فضلاً عما كانت تدفعه كل دهقانة من الغلات والعروض حسب الاتفاق الموقع عليه بينها وبين الحكومة .

ولما اضحت مملكة فارس فى عهد دارا سيدة مناجم الذهب

المهن الصورية والاعتناء بالزراعة والفلاحة والرغبة فى الفتوحات وتدويخ الممالك . فاذا بدت لك هذه الاحوال فى احد الاقطار فقل ان التجارة زاهية والسوق رائجة وانت مصيب فى رأيك صادق فى قولك وان لم يكن بين يديك جداول رسمية وتقاويم سنوية واحصاء مدقق .

بلغت هذه العوامل اشدها فى مملكة الفرس على اختلاف سلالات الملوك الذين تسنموا عرش دولة ماذى وعيلام وفارس واستولوا على العراق منذ انقراض دولة بابل حتى الفتوح الاسلامى فلا نركب شططا اذا قلنا ان التجارة كانت فى هذه الحقبة زاهية زاهرة فى العراق بالنسبة الى تلك العصور المتوغلة فى القدم .

حمل كورش على بابل سنة ٥٣٨ ق م حملة شعواء وضربها ضربة قضت على كيانها . ومن ظنيات المؤرخين ان الباعث على تلك الحملة طمع قام فى نفس الفاتح ساقه الى الاستيلاء على بابل لما راى من خصبها ما يحير الالباب وشاهد نزوع سكانها الى التجارة ومزاولة البيع والشراء . دخل كورش بابل وجامل الاهالى وحافظ على عادات القوم واميالهم ونشط تجارتهم ونهج خلفاء كورش نهجه فى الفتوحات التى زادت

وقد ذكر لهم هذه الفضيلة المؤرخون القدماء نخص بالذكر منهم نيقولا الدمشقي . ولما كان الصدق في الاقوال والامانة في الاعمال من اخص فضائل التاجر وخير الوسائل لنجاحه وفلاحه فقد راجت لذلك تجارة البابليين في العالم وانتشرت بضاعاتهم في اسواق الدنيا . ورغب في ابتياعها الناس من الاصقاع البعيدة .

هذا برض من عد من تاريخ التجارة في بابل ونرجو ان تتوالى الاكتشافات في هذه الديار ونطلع على اخبار تمدن تلك الامة بحذافيره .

§ § §

تجارة العراق

في عهد الماذيين والفرس

لاشيء يدل على اتساع نطاق التجارة في مملكة من الممالك وانتشار اعمالها بين ظهراني القوم مثل اتقان الصنائع العملية واحكام

وكان هذا المعهد يقرض المبالغ الجزيلة والطفيفة وله حسابات مع اقطاب المملكة وسواد الامة ويتقاضى الضرائب لحساب الحكومة . ويشهد على العقود التى تتم بين متعاقدين اومتعاقدين ويبيع بالنسيئة ويحول التحاويل من مدينةالى اخرى ويضم الربا الى راس المال ان لم يقم المديون بوفاء دينه .

كان التاجر عند تلك الامة البائدة رفيع المنزلة عالى المقام له يد فى ادارة شؤون المملكة وكلمة راجحة فى تدبير امورها واحوال حروبها .

وقد سن المشترعون شرائع لكل اعمال التجارة والملاحة ووضعوا القوانين لصيانة حقوق المتاجرين منها شرائع للبيع والشراء والعقود ، والملاحة والقوافل واجور الحيوانات والعمال مما لا نتمكن من الاسهاب فيه فى هذا المقام .

ومما هو حرى بالذكر ان اليهود الذين جلاهم ملوك البابليين من السامرة وبلاد فلسطين، اسسوا فى هذه الديار بيوتا تجارية جرت شوطاً بعيداً فى اقتصاديات هذا القطر فى عهده البائد .

وكان البابليون على جانب عظيم من النزاهة فى اعمالهم وتجارتهم

الجيبى واولاده الذى وجد فى بابل فى القرن السابع قبل المسيح، وقد عثر لاول مرة سنة ١٨٧٤ احد الاعراب فى اطلال «الجمجمة» قرب الحلة على جرار عديدة من الطين المشوى قد صانتها ايدى الزمان من طوارق الحدثان فوجد فى داخلها عدداً من صفائح الآجر منقوشة عليها خطوط وباعها فى بغداد لاحد تجار العاديات وكان يومئذ فى حاضرتنا الأثرى الشهير جورج سميث الانكليزى فابتاعها من التراقى لدار التحف البريطانية . وكان عددها نحو ٣٠٠٠ آجرة وبعد ان فحصها وجدها سلسلة تاريخية ثمينة وهى صور معاملات وعقود تجارية ومالية وسفاتج وسندات تخص المعهد التجارى الجيبى واولاده .

ويظن المستر دلج الالمانى ان اسم الجيبى هو تصحيف اسم يعقوب العبرى وان صاحب هذا البيت التجارى كان يهوديا من الاسرى الذين جاء بهم سرجون الملك من السامرة الى بابل .

وقد اشتغل هذا البيت التجارى اربعة قرون متوالية من عهد الملك سنحاريب سنة ٦٨٥ قبل المسيح حتى فتح اسكندر الكبير المقدونى بلاد بابل .

حتى عهداليونان . ويخبرنا احد المؤرخين ان السفن التى كانت تأتى من شاطئ خليج فارس العربى كانت تشق عباب الماء وتصل حتى اوپى (وقد قال بعضهم ان اوپى هى القادسية قرب نهر دجيل ، وقال غيرهم انها باحمشا) وقد امن نبوكدراصر طريق البر القصير الواقع فى جنوبى بابل الصعب الاجتياز الممتد من سورية الى بابل على طريق تدمر .

وكانت التجارة العالمية فى هـذا العهد قد تمركزت فى بابل . واضحت حاضرتها سوقا عظيمة لبيع بضاعات العالم .

ولابد من سؤال هنا وهو كيف كان يتعامل البابليون وكيف كانت نقودهم وكيف كانوا ينقلون اثمان البضاعات من مدينـة الى اخرى ومن صقع الى ثان . فاجيب لم تعرف النقود فى بابل وقـد كانوا فى اول عهدهم يقايضون بضاعاتهم مقايضة ثم اتخذوا المعادن كالذهب والفضـة والنحاس اساً لمعاملاتهم . وكانوا يدفعون اثمان سلعهم وديونهم قطعاً موزونة وليس سكة مضروبة . وكان الشاقل عندهم وحدة الموزونات وكان عندهم البنوك والصيارفة واقدم مصرف عرف فى العالم طرا من مشارق الارض الى مغاربها مصرف

وبلاد العرب وسورية وافريقية ورومية .

وكانت سوق النخاسة والمتاجرة بالعبد والرقيق رائجة فى بابل فكان النخاسون يسافرون الى الحبشة ليظفروا ببضاعاتهم الحية الحساسة العاقلة ويرجعون بقوافل العبيد الجرارة وكان من عاداتهم ان يعلقوا برقاب عبيدهم قطعاً من الحديد اومن الطين المشوى قد نقش عليها اسماؤهم . وكذلك كان يعمل المولى بعبده .

ولم يتفرد الرجال بالاشغال وحدهم بل كانت البابليات يساعدن رجالهن فى البيع والشراء ويعقدن العقود والقروض ويشترين الاراضى والحقول. وكانت نساء العامة يشتغلن مع ازواجهن فى الدكاكين والمخازن .

وعندما استولى نبوكدر اصر على صور فى سنة ٥٧٢ ق م استتبت احوال التجارة واتسع نطاقها اى اتساع .فكانت تمتد من البحر الاحمر وبلاد العرب الى خليج فارس ونهر الفرات . والتاريخ البابلى واليونانى مفعم بالشواهد على ذلك . فان هذا الملك طهر مصبى الرافدين الذين يعثان بمياههما الى خليج فارس وعمق قنواتهما وجعلها جديرة بالملاحة تدخلها السفن البحرية وبقى ذلك

الى بابل من جزيرة تيلوس (البحرين) نوع من الخيزران يتخذونه عصياً يحملونها بايديهم كما يفعل الاوربيون اليوم . وكان البابليون ينقلون خشب الارز من لبنان لبناء هياكلهم .

والفت انظاركم هنا الى تجارة الارميين وامتدادها من بلاد سورية الى بابل وآثور فى الالف الثانى قبل المسيح . فانهم فى ذلك العهد ورثوا الحثيين فى البلاد الواقعة فى اعالى الفرات وهى ملتقى الطرق التجارية المختلفة من سورية وآسية الصغرى وارمينية وبابل وتقدموا رويداً رويدا حتى استولوا على الشام مستودع تجارة بلاد العرب . واكبر دليل على اتساع تجارتهم انتشار لغتهم انتشارا عجيباً حتى اضحت شبيهة باللغة الفرنسية فى آسية الغربية على حد ماجاء تشبيهها فى احد الكتب الانكليزية .

وكان اهل بابل يتكلمونها فى حياتهم اليومية منذ القرن الحادى عشر حتى القرن التاسع قبل المسيح . وكان المصريون فى القرن الخامس عشر قد اتخذوها لهم لغة تجارية .

وعليه فقد تاجر البابليون مع بلاد فارس وارمينية والهند ومصر

والقطن والكتان من صنع معاملها وقد كسبت صناعاتها صيتاً بعيداً في اقطار العالم وقدجاء ذكرها في سفر يشوع وعرفها شعراء اللاتين وتبسط في ذكرها هيرودوت وبلينوس. وكان غواة الصناعة البابلية والمغرمون بها يبتاعون من طرفها بأثمان كثيرة . فقد ابتاع ملتوس شيبون متكاثلاثيا بقيمة تساوي اليوم ٣٣٥٠٠ ليرة انكليزية. ومن معمولات بابل الاسلحة والاثاث والجواهر والتعاويذ والاسطوانات المحفورة المتخذة خواتم وقداشتهر معمل بورسيبا في نسج الكتان وذكره استرابون كما اشتهر السجاد البابلي في العالم القديم وورد ذكره في مؤلفات اليونان القدماء. اما البضائع والعروض التي كانت ترد الى بابل من اقطار العالم فكثيرة مختلفة الانواع ومتضاربة الاجناس نذكر منها ما وصل الينا ذكره كانت تبعث اليها ارمينية بالشراب ؛ والهند بالجواهر والاحجار الكريمة والكلاب الكبيرة التي كان يهتم البابليون بتربيتها وكانوا قد ارصدوا لها اربعة احياء من احياء مدنهم لحفظها والاعتناء بها في عهد السلالة الكيانية وكانت بلاد فارس ترسل اليها منسوجات الصوف وبلاد العرب والحبشة العطور والتوابل والذهب والعاج وخشب الابنوس والحجر البركاني ؛ وكان يرد

العقود وكان اصحاب القوافل يركبون السفن من كركاميش فى نهر الفرات وينحدرون الى بابل .

وكانت على سواحل دجلة والفرات مستودعات شهيرة تأتى اليها الامتعة والعروض والبضائع المختلفة التى ترد من خارج البلاد بالسفن فتنقلها القوافل الى قلب البلاد البعيدة عن عدوات الرافدين. وترجع حيوانات النقل محملة من حاصلات تلك الاراضى والبلاد ونتاج صنائعها فتلقيها فى المستودعات لتشحن على السفن التى تمخر عباب المياه . وكانت مدينة اور (وهى اطلال المكير اليوم) من اعظم مدن بابل التجارية وابعدها شهرة وقد عرفت بتجارتها البرية والنهرية وتوسطها بين اسواق العالم القديم وقد اثبت رجال البحث وجود العلائق التجارية والصلات الاقتصادية بين بابل والهند منذ القرن السابع قبل المسيح والحق يقال ان ليس فى ذلك عجباً اذ ان حب الاسفار والمتاجرة من صفات الساميين الطبيعية واميالهم الفطرية فانهم يقطعون الفيافى والقفار ويخوضون لجج البحور والانهار للبيع والشراء .

كانت تصدر بابل الى اسواق العالم المتمدن منسوجات الصوف

والملح ، وتتوسط فى ابتياع ما تأتى جبال كردستان وشحنها الى بابل فتوسق على الاكلاك والسفن الرخام والحديد والرصاص والفضة والانتيمون والذهب والقلاى فتنحدر السفن فى دجلة وتفضى الى الفرات بالانهر التى كانت تجمع بين الرافدين .

مهما نقل عن تجارة نينوى وعظمتها فانها كانت احط منزلة واقل شأنا من تجارة بابل التى فاقتها خطورة كما نشاهد اليوم تفوق تجارة بغداد على تجارة الموصل . وقد وصلت ما وصلت اليه ارض الكلدان من الخطورة فى تاريخ التجارة لموقعها الجغرافى البديع فهى واقفة فى نقطة ملتقى آسية العليا وآسية السفلى قريبة من خليج فارس وبحر الهند وبلاد عيلام وماذى . ولهذا اضحت منذ اوائل التاريخ محط رحال قوافل الشرق والغرب ومجتمع الملاحين الذين كانوا يقصدونها من اصقاع افريقية وبلاد العرب والهند . كما كانوا يأتون اليها من الشام وبلاد فينيقية ويمرون بتدمر وبكركاميش وهى اليوم جرابلس وكانت كركاميش معبدا وسوقا عظيمة . وكانت المعابد الكبرى عند الامم القديمة ملتقى التجار ومجتمعاتهم يعقدون فيها المعاهدات والعقود وكان لسدنتها نصيب من الرسوم على تلك

لهم اساطيل منيعة منذ القرن الثلاثين قبل المسيح وقد جاء فى الآثار المكتشفة حديثاً ان الملك جوديا الذى عاش فى القرن الخامس والعشرين قبل المسيح بعث باسطوله من مدينة سربلا الى مدينة كوبى ونقل منها صخورا لبناء الهيكل . فرجعت السفن حاملة شيئاً كثيراً من تلك الحجارة . وقد جالت فى سفرتها فى جزيرة العرب ومرت بسواحل البحر الاحمر فبحر مارمراتو (وهو خليج فارس اليوم) وافرغت حملها فى سربلا وهى اليوم اطلال تلو قرب الناصرية . وعلى هذا الحادث قال المؤرخ الفرنسى لنورمان : ان الشواهد الحسية تضطرنا الى ان نستنتج ان التجارة والملاحة كانتا متسعتى النطاق منذ عهد جوديا وتماثلان فى اتساعهما الفنون الراقية التى كانت منتشرة فى بابل وقد اشار اشعيا [٤٣ : ١٣] الى الملاحة عند البابليين .

وكانت نينوى مركزاً تجارياً تتوارد اليها غلات سهول بين النهرين وحاصلات بلاد بابل الحارة واثمار جبال كردستان وارمينية وفواكه اصقاعها الباردة وما تأتى اعالى الجزيرة المعتدلة الهواء . وكانت بلاد آثور تصدر الى بابل من معادنها ومستخرجات مناجمها انواعاً مختلفة من المواد كالغاز والنفط والزيت الحجرى والشب

واقعة فى سهل مطمئن من الارض وقد اسندت راسها الى جبال ارمينية تستمد منها ينابيع الثروة ومصادر الخصب فتنعم عليها بمياه غزيرة تحول قفارها الى جنان فيحاء ومفاوزها الى رياض غناء .

وقد اضحى خصب بابل وآثور احدوثة الشعوب والقبائل منذ الاعصر التاريخية ومطمع انظار المصرين ومطمح نفوس الفاتحين كما ان هـذه الارجاء كانت مهد الصناعة ومصدر الحرف المختلفة . وكان سكانها على جانب عظيم من حب الزهو والتأنق فى المأكل المشرب والزخرف فى اللباس والتفنن فى تشييد الهياكل وتزويق الصروح . تآخت كل تلك الدواعى لتجعل بابل ام تجارة العالم كما انها كانت ام حضارته .فصرف البابليون عنايتهم الى مبادلة غلات اراضيهم ونتاج صنائعهم وابتياع ماينقصهم من دواعى الزهو والزخرف والعروض والامتعة من البلاد النائية والاصقاع البعيدة .

كان البابليون ينقلون بضائعهم فى البر على الحمير والبغال والابل وربما نقلوها على العجلات وكانوا ينقلونها فى النهر على الاكلاك والسفن . ولم تقف هممهم القعساء عند الملاحة فى انهر بابل الهادئة بل خاضوا البحار وركبوا متون امواجها العجاجة غير هيابى الاخطار . وكان

من صنائع بلادهم النفيسة من اوانى الشبه وغيرها شيئاً كثيراً وقد ذهب احد المؤرخين الى ان مهد الفنيقيين كان على شواطئ خليج فارس وقد ظعنوا منذ اعصر متوغلة فى القدم الى بحر الروم (البحر المتوسط) وكانوا بعد نهضتهم يأتون من حين الى آخر بسفنهم الى بحر فارس للمتاجرة ولكن ذلك راى يحتاج الى التمحيص والتحقيق ولم يبت فيه العلماء المدققون .

تجارة العراق
فى عهد الآثوريين والبابليين

ان ذكر بابل وآثور يقيم فى ذهن المرء صورة العمران والحضارة والخصب والغنى. افتحوا التاريخ تشاهدوا فيه من امارات الرقى ودلائل المدنية مالا يصدق وجوده فى تينك المملكتين المتوغلتين فى القدم الا انكم لاتقوون على انكاره عند ايراد البينات النواصع والحجج اللوامع فقد تضافرت الاسباب الطبيعية وتآصرت العلل الجغرافية على رفع هذه الارجاء الى ذرى المجد والعلى . فهى

بالرقيق ويتعاطون النخاسة. ويتاجرون بما كان من حاجيات ذلك الزمان الغابر وكمالياته. والامر الذى يهمنا الان من تجارة الفنيقيين علاقاتهم الاقتصادية بجزيرة العرب والعراق . فنترك البحث الى المحاضرة الآتية عن جزيرة العرب ونبحث الآن عن علاقاتهم بآثور وبابل .

كانت قوافل الفنيقيين تحط رحالها فى بلاد آثور وبابل وتبتاع منها نفائس المصنوعات لاسيما الاقمشة الثمينة البديعة النقش الجميلة التطريز . وكان الفنيقيون يبالغون فى حفظها فيودعونها صناديق من خشب الارز التى كانوا يأتون بها من لبنان . فكان يبيعون من تلك البضاعات مايتسنى لهم بيعه فى بلادهم ، وينقلون النفائس الى بلاد اليونان . ومما لامرية فيه ان الاسطوانات المصنوعة من البلور الحجرى واليشب وحجر الدم وحجر الصابون « الشحم الحجرى » (وهو نوع من الحجر يستعمله الخياطون للتعليم على الثياب) كانت تنقل الى فنيقية ومن هناك الى جزيرة قبرس حيث كانت سوقها رائجة عند الجالية الفنيقية .

ومن ظنيات المؤرخين ان الفنيقيين كانوا يأتون الى آثور وبابل بالقصدير الذى كان يدخل فى تركيب الشبه (البرنز) وكانوا ينقلون الى آثور

والديار المتباينة حاملة المتاجر المتضاربة الأنواع وقد جاء وصف تجارة صور وصفاً دقيقاً مسهباً فى الفصل السابع والعشرين من كتاب حزقيال النبى الذى عاش فى القرن السادس قبل المسيح . ومن نظر نظرة اجمال الى هذا الفصل يتحقق ان الفنيقيين تاجروا براً مع كل مدن آسية الغربية ودولها العظيمة . فأنهم تعاملوا مع سورية الشمالية وبلاد الشام واليهودية وبلاد اسرائيل وبلاد العرب وبابل وآثور واعالى الجزيرة (وعلى الخصوص مع حاضرتها حران) وارمينية واواسط آسية الصغرى وحمص كما أنهم تاجروا بحراً مع بلاد يونيا وقبرس واليونان وترشيش (اسبانية) (يطلق هذا الاسم على بقعة الوادى الكبير)

ولا يسعنا ان نسهب الكلام عن التجارات التى كانت تبادلها كل تلك الشعوب مع الفنيقيين وفيها المعادن الثمينة والحجارة الكريمة والاقمشة المطرزة والمزركشة ، وآنية نحاس ، وادوات الحرب من اتراس ،وخوذ ،وسيوف صقيلة ،وعطور ،ونوافج طيب ، ولبان ومر ، وعاج ،وخشب ارز ، وآبنوس ،وصوف ،وكتان ، وفرش ، وخزف ، وحنطة ،وعسل ،وزيت ،وخمر . وغيرها فغيرها . وكانوا يتاجرون

﴿ الفنيقيون ﴾

كانت ملاحة الفنيقيين محصورة فى القرون الاولى فى حدود البحر المتوسط ، وبحر مرمرا وبحر نيطش (البحر الاسود) فى البحار التى تكتنفها الاراضى وليس فيها مد ولا تهيج مثل البحار العظيمة ولكنهم قبل عهد سليمان الحكيم اجتازوا خليج الزقاق وهو مضيق جبل طارق حيث تشاهد اعمدة هرقل اقتحموا المخاطر الاوقيانوس الاتلانتيكى (بحر الظلمات) وتشططت سفنهم سواحل افريقية الغربية من جهة الجنوب وتشططت سواحل اسبانية من جهة الشمال . وتوغلت فى البحار ومخرت عباب جون بسكاى (خليج وشكنس) ومرت براس منتهى الارض وعبرت البوغاز الانكليزى حتى كاستريد جزائر القصدير وانهم لم يحجموا عن الوصول من سواحل افريقية الغربية الى جزائر كناريا (الجزائر الخالدات) وربما امعنت بعض سفنهم فى السير فى الجنوب والقت مرساها فى اصورة ومادیرة وجزائر الراس الاخضر فى شمالى سواحل هولاندة وكما كانت سفنهم تقتحم المخاطر فى سبيل التجارة فى البحار والخلجان. وكانت قوافلهم العظيمة تقطع الابعاد وتسير فى الامصار المختلفة

الشقيقين وقسم منها يبعث به للاتجار . ومما يؤيد هـذا الراى ان احد ملوك بابل احتج على فرعون لان احد تجار رعاياه نهب فى ارض الفراعنة وسلبت منه بضاعاته .

وقد كانت الطرق التجارية والسياسية والحربية المصرية عديدة منها يقطعونها بالمياه نهراً او بحراً ومنها براً . وكانت تجارتهم الداخلية والخارجية رائجة كل الرواج فى تلك الاعصر السحيقة . فكانوا يتعاملون مع الدول المتاخمة بلادهم كالعرب والفنيقيين واليهود . ومع بلاد الحبشة والسودان والى الجنوب صعدا فى النيل مع يبو (اى اليفانتين اوجزيرة العاج) واسوان وفيها كانوا يتعاملون مع البرابرة . وكانت قوافلهم تبلغ الواحة الغربية مارة بالفيوم وممنف اوباسيوط الحالية اوبغيرها من فرض النيل . وكان يأتى من سورية الى مصر خزف ومعمولات معدنية ومراهم للتحنيط وزيوت وخمر وثياب صوف ومطرزات .

§ § §

التشابه بين القطرين من الوجهة الاقتصادية اضحى اليوم روابط قوية وثيقة العرى مجدولة القوى وعصبية عربية تجمع القومين جمعاً موثق الوصال وان صلة مصر التجارية ببابل قديمة العهد ترتقى الى القرن الخامس عشر قبل المسيح فقد جاء فى الرسائل المكتشفة فى تل العمارنة ان العلاقات التجارية بين القطرين على طريق سورية كانت زاهية زاهرة منذ ذلك الحين وكان بين الفراعنة وملوك بابل عهدة لتبادل البضاعات والمعادن ونتاج بلادهما الواسعة الارجاء .

فكانت ترسل بلاد النيل الى بلاد الرافدين الذهب (وكان الذهب موجوداً فى شرقى مصر وفى الحبشة) والخشب المنقوش والصور الذهبية والخشبية والزيت وكانت بابل ترسل اليها بالذهب المصنوع والحجارة الكريمة والميناء والجلود وعجلات الخشب والخيل واللازورد (اللازورد معدن مشهور يتولد بجبال ارمنية وفارس واجوده الشفاف الازرق الضارب الى حمرة وخضرة وقوته كقوة لزاق الذهب واضعف يسيرا يتخذ للحلى وله منافع فى الطب) كان قسم من هذه البضاعات والتحف يتهاداه ملوك القطرين

لانه يخرجنا عن غاية المحاضرة التى جل قصدنا منها ان تتابع تاريخ هذا المرفق عند الشرقيين بنوع عام وعند العراقيين بنوع خاص .

قد اشتهر بالتجارة من الشعوب الشرقية المصريون والعرب والكلدان والفنيقيون والاسرائيليون .

ولنقل كلمة عن التجارة عند المصريين والفنيقيين قبلما ننتقل لما لها من العلاقة بتجارة العراق . ونترك البحث عن التجارة عند اجدادنا العرب الى المحاضرة الثانية بقصد ان نفى الموضوع حقه من الاسهاب لما له من الخطورة والشأن .

§ § §

المصريون

مصر الفراعنة وبابل الكلدان شقيقتان فى الحضارة والعمران ودلتا النيل ومدالث دجلة والفرات تتشابه فى الخصب وكل مرافق الارتزاق . والبحر الاحمر وخليج فارس مياه للملاحة وطرق السفن التى تحمل التجارات من البلاد واليها وما كان فى الامس من

وجعلت بعض البقاع من الارضين مروجاً نضرة وحقولا زاهرة وكستها ببساط زمردى فانتجعتها الماشية وارتادتها السائمة.

واجرت فى بعض الديار انهارا وشطوطا ، واسالت فيها المياه العذبة فاروت مزارعها واخصبت ارضها واتخذ الناس تلك المجارى طرقاً طبيعية للملاحة والتجارة . واستفاد السكان من اسماكها وحيتانها .

وقد اودعت الطبيعة بطن بعض الاراضى كنوزاً من المعادن كالذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والبترول (النفط) والقار والاحجار الكريمة كالماس والزمرد والزبرجد والياقوت وغيرها .

ان هذا الاختلاف فى قوة انتاج الارض على اختلاف اقاليمها وامصارها انشأ التجارة الخارجية .

وللتجارة مصدران لا ثالث لهما (١) اختلاف قوة انتاج الافراد (٢) اختلاف قوة انتاج الاراضى . وتدرجت التجارة فى مدارج الكمال واتسع نطاقها فى المجتمع وحاجة الناس الى الكماليات. وكثرة الاختراعات والاكتشافات وتقدم الصناعات واتقان الادوات وليس من خطتنا فى هذا البحث طرق هذا الموضوع

ابتياع غلات الزارع المحتكر . وقايضوه بسلعهم وصيدهم مقايضة سماح لان الطلب كان شـديداً عليه والرغبة فى الحصول عـلى بره بلغت معظمها . وعلى هذا الاسلوب نشأت التجارة الداخلية فى صدر زمن سبق عهد التاريخ .

ان احد رجال القبيلة ابتعد عن محط قومه وتوغل فى البرارى فافضى به سيره الى جنة فيها من كل فاكهة زوجان . فقطف من تلك الأثمار مالذ وطاب ، ورجع بها الى عشيرته . فاستهواهم منظرها ولذهم مطعمها . فاستطعموا منها فرفض الا ان يدفعوا اليه عنها بديلا فرضخوا للشرط وقايضوه عوض الفاكهة من صيد البر وجلود الحيوانات ماقابل ثمن اثماره . فاخذها ورجع بها الى موطن الأثمار وقال للقبيلة الساكنة هناك خذوا مني هذه الطيور والجلود واعطونى من نتاج اشجاركم ففعلوا راضين .

ومن المقرر ان الطبيعة قد خصت كل اقليم من اقاليم البلاد بميزات لم تجد بها على غيره من الاقطار . فخصت قطراً بالغابات والاحراج فانبتت فيه اشـجاراً باسقة كثيرة الاغصـان ، غليظة الاجذال ، كثيفة الظل فاضحى مأوى السباع وموطن الحيوانات الجارحة .

شاكراً ثقته بى . مقراً بفضل اللجنة التأسيسية التى بذلت جهدها لانشاء هذا المعهد الذى كانت بغداد فى اشد الحاجة اليه فى ابان النهضة العربية العامة والعراقية منها خاصة .

[١ : منشأ التجارة]

التجارة وليدة الطبيعة . من نظامها نشأت ومن مصدرها انبثقت وتدرجت فى مراقى الكمال بتدرج المجتمع البشرى فى محجة الرقى ، وتقدمه فى طريق الحضارة والعمران .

فاض عند الصياد كمية من السمك وكان فى حاجة الى قمح يخبزه خبزاً فقال للزارع هل تقايض سمكى بقمحك . فجرت بينهما تلك المبادلة التى دعتهما اليها الحاجة والحاجة ام الاختراع . وقايض غيرهما غير ذلك .

وكانت سنة من السنين امتازت بالرخاء وكثرة الغلات فعرض الزارع حنطته وشعيره للمقايضة فلم يجد من يبادله غلاته كلها فبار عنده شئ غير يسير منها . وما كان دور الرخاء الا عهداً قصيراً فباغتت الناس سنة عصيبة وحل الجدب محل الخصب . فاقبلوا على

المحاضرة الاولى

(تمهيد : كلمة فى منشأ التجارة ـ التجارة عند)

(المصريين القدماء ـ عند الفنيقيين)

(فى عهد الآثوريين والبابليين)

(فى عهد الماذيين)

(والساسانيين)

تمهيد

سادتى

اود ان اصدر محاضرتى بكلمة عن منشأ التجارة فى المجتمع البشرى وتدرجها فى اطوارها الاولى .واشفعها بنظرة عامة موجزة فى سيرها بين الامم ، والشعوب الشرقية القديمة غير التى لها صلة بالعراق واعود فاعالج الموضوع واتوسع فى كلياته وجزئياته واسهب فى الكلام فى تاريخ التجارة عند البابليين والآثوريين ثم عند الفرس فى عهد السلالة الكيانية والساسانية فيتم قوام الحلقة الاولى من سلسلة المحاضرات فى التجارة . تلك المحاضرات التى رغب الى حضرة معتمد المعهد العلمى ان اقوم بالقائها هنا . ولبيت طلبه

كلمة الى القراء

هذه مجموعة المحاضرات التي القيتها في «المعهد العلمي» في بغداد في ربيع هذه السنة . نشرت تباعا في جريدة العراق البغدادية الغراء ماعدا (المحاضرة الاخيرة) ونقلتها جريدة « الاحوال » البيروتية . رأيت طبعها في كتاب على حدة خدمة لمن يعنون بهذه الابحاث والله ولي التوفيق .

بغداد في ٢٥ ايلول ١٩٢٢ ي . غنيمة

﴿ ازهار وأثمار ﴾

مقالات وكلمات ادبية اخلاقية (تظهر قريباً)

﴿ نشر الدفين في مذاهب اللادريين والثنويين ﴾

(لا يزال مخطوطا)

تآليف اخرى

لصاحب هذا الكتاب

(برديصان والبرديصانية) رسالة طبعت في بيروت

مباحث عراقية

تتضمن مباحث مصورة في تاريخ العراق وجغرافيته واحواله العمرانية - تحت الطبع -

نزهة المشتاق

في

تاريخ يهود العراق

(مصور)

تاريخ مطول ليهود العراق من اقدم الازمنة الى هذا اليوم (قيد الطبع)

تجارة العراق

قديماً وحديثاً

— بحث تاريخي اقتصادي —

بقلم

يوسف رزق الله غنيمة

العضو في مجلسي الادارة والمعارف في بغداد

الطبعة الاولى

مطبعة العراق في بغداد ١٩٢٢ — ١٣٤١

تجارة العراق

قديماً وحديثاً

— بحث تاريخي اقتصادي —

بقلم

يوسف رزق الله غنيمة

العضو في مجلسي الادارة والمعارف في بغداد

الطبعة الاولى

مطبعة العراق في بغداد ١٩٢٢ — ١٣٤١

www.alkottob.com